

شفيق طبارة

شفيق طبارة في جوار اكرم الاكرمين

بقلم الشيخ طـه الولـي

* * *

الذين ودعوا للمرة الاخيرة شفيق طبارة الـى نهاية رحلته في هذه الدنيا وتركوه وحده في مقبرة الشهداء تحت ظلال الصنوبر الى جوار اكرم الاكرمين ، لـم يتجاوزوا بضعة عشر شخصا من اهل بيروت بما فيهـم اشقاؤه والاقربون من عترته وذويه . حتى تجار هذه المدينة الذيـن حمـل الراحل الكريم اعباء امانة جمعيتهم من سنة ١٩٥٠م حتى اليوم اي طوال ربع قرن من السنين ، فانهم تخلفوا عـن هذا الوداع الاخير ولم يحملوا انفسهم عبء بضع خطوات يمشونها وراءه الى مثواه الاخير .

وكنت حريصا على ان اشارك الذين شيعوا هـــذا الوجه البيروتي الاصيل وهو في طريقه محمولا على اعناق الرجال الى المقبرة حيث غاب الـى الابـد تحت الجنادل والتراب في طبقات بعضها فوق بعض تاركا من بعده رجع الصدى عن حياته عبر العديد من المآثر والذكريات التـي نضح بها علمه الغزير على شباة قلمه وكانت ثمراتها مئات من الصفحات في الكتب والمقالات والابحاث التي نشرها عن بيروت ورجالها وتراثها وآثارها وتاريخها .

ولقد راعني ان يغيب البيروتيون ، وبخاصة أهـل الفكر والقلم منهم عن وداع هذا الفقيد العزيز . وهـو الذي لم يغيبوا عن خاطره في اي يوم مـن ايـام حياته . اجل لقد راعني هذا العقوق الذي قابلت به بيروت واحدا من ابر ابنائها بها ، فلم يكلفوا انفسهم خطوات معدودات يرافقونه بها وهو في آخر عهده في الدنيا مفضيا الى مـــا قدم من عمله بين يدي ربه . لـذا ، وجدتني امام واجب الكتابة عن هذا الرجل بما يفيه بعض حقه على اهل زمانه لعل اهل هذا الزمان والذين سيلونهم من بعدهم يدركون اي خسارة فدحت امتنا وبلادنا عندما اخترم ريب المنون هذا اللواء الذي طالما خفق في بيان آدابنا وفنوننا وتقاليدنا وكل مجيد من مناقبنا وتراثنا .

فمن هو شفيق طبارة الذي غاب عـن أهـل بيروت ولن يعود اليهم بعد اليوم ابدا .

انه شفيق بن حسن بن حسين بن محي الدين بن احمد بن صالح بن عبد القادر ابن مصطفى طبارة . واصل عائلته من المغرب العربي . فقد نزح اجداد هذه العائلة من تلك البلاد الى ساحـــل الشام حيث سكـن بعضهم مدينـة طرابلس الشام واشتهروا فيها باسم « آل كبارة » وسكن آخرون مدينة بيروت واشتهروا فيها باسم « آل طبارة ».

وكان قدوم هذه الاسرة البيروتية الى موطنها الحالي منذ حوالي اربعمائة سنة على ان اقدم من عرف مـن آل طبارة في هذه المدينة هو مصطفى الجد الاعلـى لصاحب الترجمة وقد ورد ذكره في سجلات المحكمة الشرعية فـي بيروت وذلك في الحكم الذي اصدره قاضي بيروت السيد احمد الغر (الاغر) رحمه الله يوم ١٧ مــن شهر رجب الفرد سنـة ١٢٣٤ هـ (١٨١٨م) باحـدى الدعاوى العقارية المرفوعة امامه وصادق عليه السيد عبد اللطيف (فتح الله) مفتي البلد يومذاك .

وكان آل طبارة يسكنون في بيروت القديمة بالقرب من « المصلى » الذي كان يقع حيث توجد في ايامنا الساحة التي يحاذيها جامـع الامير منصور عساف (السرايـا) وشارع فوش وسوق سرسق وقد كان لهم في هذه المنطقة جنينة معروفة باسم « جنينة بنـي طبـارة » اشار اليها نص صادر عن المحكمة الشرعية في بيروت في ايام القاضي حافظ حسين كاظم وذلك في ١٦ مـــن شهر ربيع الثاني سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥) م .

ولادة المترجم لـه ونشاته الاولى

ولد المترجم له شفيق طبارة في بيروت سنـــة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) . وعلى عادة اهل زمانه في ذلك الحين اسلمه ابوه حسين طبارة الى مؤدب من المشايخ ليعلمه القرآن الكريم ومبادىء العربية وشيئا مـن العلوم المتداولة فـي ذلك الحين . فلما بلغ السنة السادسة مـن عمره ارسله الـى المدرسة العثمانية التـي كـان يديرهـا مؤسسها الشيخ احمد عباس الازهري رحمه الله . وكانت هـذه

المدرسة ارقى مدارس المسلمين في بيروت في حينها وفيها تخرج الرعيل الاول من المثقفين في مطلـع القرن الحالي الذين قامت على جهودهم النهضة الاسلامية الحديثة . وبعد ان امضى المترجم له في هذه المدرسة سنة واحدة نقله ابوه من جديد الـى المدرسة اليسوعية (جامعة القديس يوسف اليوم) كي يتعلم الفرنسية وغيرها من العلوم العصرية ، وبقي رحمه الله في المدرسة اليسوعية الى ان تخرج منهـا حاملا شهادتهـا النهائية سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) . بيد انه لم يكتف بهـذه الشهادة بل حمله طموحه على متابعة التحصيل لتوسيع مداركه العلمية في حقل التجارة ، فانتسب الى المعهد التجاري في باريس وبعد سنتين من انتسابه الى هـذا المعهد استطاع الحصول على شهادة العلوم التجارية عن طريق المراسلة.

وفي سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) تطلع المترجم له الى الاعمال الحرة فترك بلده بيروت قاصدا الى العراق فـي طلب الرزق . وفي العـراق اختار مدينـة البصرة منتجعا لرزقه حيث عمل وكيلا لشركة « بيضافون » ثـم اشتغل عميلا لشركة « اوديـون » لبيـع الاسطوانـات الغنائية والفونوغراف وبقي في البصرة حوالـي تسع سنوات . فلما كانت سنـة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) رجـع الـى بيروت للعمل في ميدان التجارة وكـان فـي نفس الوقت يعطي بعض الدروس في اللغة الفرنسية في الكلية الشرعية (ازهر لبنان اليوم) التي اسسها الشيخ محمـد توفيق خالد مفتي لبنان الاسبـق رحمه اللـه . وقـد زاول التدريس في الكلية المذكورة مدة سنتين .

وفي سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٣ م) حصلت الحركـة الوطنية في لبنان واعتقلت سلطـات الانتـداب الفرنسي زعماء البلاد وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري ورياض بك الصلح والشيخ عبد الحميد كرامي وغيرهم . فتداعى اللبنانيون الى تشكيل هيئة من الوجهاء لرعاية الحركة الوطنية ومتابعـة النضال ضد الفرنسيين من أجل استكمال اسباب الاستقلال والسيادة واطلـق يومئذ على هذه الهيئة اسم « المؤتمر الوطني » وقد اختار المؤتمر المذكور المترجم له ليتولى فيـه منصب أمين السر وفي نفس الوقت كلفه بتحرير النشرة الدورية التي كانت تصدر مرة في كل اسبوع باسم « المؤتمر الوطني » وقـد استمر رحمه الله قائما بعمله في المؤتمر وفي النشرة مـن سنة ١٣٦٦ الى ١٣٦٨ هـ (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨ م) ثم توقف هذا المؤتمر عن متابعة نشاطه كهيئـة حزبية سياسية مستقلة ، واوقف نشرته عن الصدور .

وفي سنـة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) طلبت جمعية التجار في بيروت الى المترجم له ان يتولـى ادارة مكتبها ، فنزل عند هذا الطلب وبقـي في منصب « امين جمعية التجار في بيروت » من السنة المذكورة الى ان انطفأ سراج حياته فجأة على اثر اعتلال قلبه مدة من الزمن . وكانت وفاته بهذه العلة يوم السبت في ٢ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٣ هـ الموافق في ٢٨ تموز سنة ١٩٧٣ م ودفـن في اليوم التالي بمقبرة الشهداء عند غابة الصنوبر فـي بيروت .

آثاره العلمية وثمراته القلميـة

ان ضرورات الحياة التي جعلت المترجم له ان يزاول عملا اداريا في حقل التجارة حينا ويتوظف في مكتب جمعيـة التجار في بيروت حينا آخر على ان هذه الضرورات لـم تحل بينه وبين ممارسة هوايته الكتابية ولم تصرفه عـن تحقيق نزعته الادبية . فلقـد كان رحمه اللـه شغوفا بالمطالعة معنيا بمتابعة الفكر الانساني من خلال مـا ينشره رواد هذا الفكر باللغتين العربيـة والفرنسية . وقادته قراآته الكثيرة ومطالعاته المتعددة الى ان اصبح هو نفسه من بين اهل القلم البارزين في اللغة العربية ، فكان كلمـا سنحت له الفرصة يختلس من وقتـه الفينة بعد الفينة لمعاناة التأليف ونشر الابحـاث والمقـالات والتحرير في المجلات الادبية والصحف الدورية الصادرة في بيروت .

واول عهده بالكتابة الادبية كان سنـة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) ففي هـذه السنة بـدأ بتقديم بعض المقالات الى جريدة « الاحرار » لصاحبها الاستاذ خليل كسيب. ولما اصدر الاستاذ جبران التويني جريدتـه « النهـار » تابع المترجم له كتابة مقالاته في هذه الجريدة . وقد تناول في هذه المقالات موضوعات انتقادية من خلال مـا يسمى « بالادب الفكاهي » وكانت هـذه الموضوعات كما يقـول صاحبها نفسه : « مقـالات فكاهيـة جمعت بين الجـد والهزل . استمد موضوعاتها الاجتماعية والسياسية من صميم الحياة » ولقد تابع رحمه اللـه الكتابة في هـذه الموضوعات وكان ينشرها بتوقيع « شفيق » ولما استوفى مادتها جمعها في كتـاب مستقـل تحت عنـوان « الادب الفكاهي » غير ان هذا الكتاب لم يطبـع وبقي مخطوطـا حتى اليوم .

اهتمامه بتاريخ بيروت واخبار اهلها

كان شفيق طبارة رحمه الله شديـد الاحساس باصالته البيروتية وهذا ما كان يدفعه الى الاهتمام بتاريخ موطنـه بيروت وتتبع اخبار هذه المدينة مـن سالف الازمان الـى حاضرها . حتى انه كان يبحث عن الكتب التـي تحدثت عن بيروت من قريب او بعيـد ويقتنيها او يطلـع عليها ويلخص ما فيها الى ان اصبح مرجعا غنيا يعتمد عليه في معرفة هذه المدينة ومـا كان لاهلها مـن اخبار وتراث وتقاليد . ولم يكن رحمه اللـه يكتفي باختزان المعلومات البيروتية في نفسه بل انـه كان يحب ان يشيع هـذه المعلومات في ابناء بلـده كي يعرفـوا مكانتهـم في التاريخ ويعملوا على بناء مستقبلهم بما يتناسب مـع هذه المكانـة حرصا على التراث المجيد الذي قدمته بيروت في مضمـار

الحضارة والعمران والتقدم منذ اقدم العهود حتى اليوم. وكذلك فانه كان ينشر في المجلات الدورية والصحف اليومية ابحاثا مستفيضة عن معالم الحيـاة البيروتية في مختلف المجالات العمرانية والدينية والاجتماعية والفنية . ونحن لا نبالغ اذا اكدنا بهذه المناسبة بان ما كتبه شفيق طبارة في هذا الصدد اصبح من المصادر التي لا يستغني عنها أي باحث يريد الكتابة عن تاريخ هذه المدينة ومظاهر الحياة العامة لسكانها في الماضي والحاضر على حد سواء .

واذا نحن راجعنا مجلة « الاديب » لصاحبها الاستاذ البير اديب ومجلة « اوراق لبنانية » لصاحبها الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك ، فاننا سنجد في هاتين المجلتين ، مقالات مفيدة كتبها المترجم له عن معابد المسلمين في بيروت من مساجد وجوامع ورباطات وزوايا ، وكذلك سنجد له فيهما مقالات اخرى في موضوع العادات والتقاليد وافانين الحياة الاجتماعية التي كان البيروتيون ، حتى عهد قريب ، يمارسونها في المناسبات والمواسم الشعبية التي توارثوها عن آبائهم الاقدمين ، حتى ليمكننا القول ان ما كتبه شفيق طبارة في هذه الموضوعات يعتبر من المصادر التاريخية المفيدة .

وخلاصة القول : ان هذا الكاتب يكاد يكون من الافراد القلائل الذين تخصصوا في تقديم صورة قلمية مشرقة عن مدينة بيروت واطوار سكانها وما كانوا عليه من طرائق الحياة التقليدية لا سيما في العهود الاسلامية التي تعاقبت منذ الفتح العربي في صدر الاسلام حتى مطلع القرن الحالي .

وكان رحمه الله شديد اللهفة على اخراج كتاب مستقل عن بيروت وسكانها في اطار الاغراض التي قدمناها ، بيد ان القدر عاجله في اجله وحرمه من تحقيق امله . فلقد كانت هذه الامنية تراوده وتأخذ عليه تلابيب افكاره ، حتى انه جمع في حياته اصول هذا الكتاب وهيأ له مادته العلمية تمهيدا لطبعه . وهذا ما اكده هو بالفعل مبينا حوافزه في نفسه بقوله : « قد قرأت فيما قرأت تاريخ بيروت لصالح بن يحي ١٥١٨ م وهو فيما أعلم اول كتاب وضع عن بيروت ، فلم أجد فيما أثر عن صاحبه كلاما يفيد في استجلاء احوال المجتمع البيروتي . ورأيت المؤرخين العرب الذين اتوا بعده قد اشاروا في كتب رحلاتهم الى بيروت اشارة موجزة لا تروي غليل الباحث المدقق . لذلك عقدت العزم على سد هذا الفراغ وعنيت بالكشف عن هذه الناحية المهملة في كتب المؤرخين واتبعت منهجا يختلف عن مناهجهم ، فلم اهتم بسرد احداث الماضي ولا اخبار الحروب ، وكذلك لم اقصر همي في التحدث عن سير اعلام البيروتيين وتراجم اعيانهم . وانما حاولت ان اتغلغل الى صميم المجتمع البيروتي واصف شمائل البيروتيين وعاداتهم . فجاء كتابي تاريخ ما اهمله التاريخ عن بيروت والبيروتيين في الفترة الاخيرة من العهد العثماني الى بداية فجر النهضة الحديثة .. » وهذا الكتاب لم يقيض له ان يصل الى المطابع وهو ما يزال كما اخبرنا مؤلفه مخطوطا ومطويا ضمن اوراقه الخاصة .

وانطلاقا من الرغبة الملحة في الكتابة عن بيروت واحوال سكانها وتراثهم الشعبي ، فان المترجم له رحمه الله ، اخذ نفسه بدراسة المجتمع البيروتي في ايامه ، من خلال الامثال السائرة التي كان يتداولها مواطنوه في التعبير عن اغراضهم النفسية وحاجاتهم المعيشية وكذلك المصطلحات الدارجة التي تعكس افكار البيروتيين وتعبر عن مفاهيمهم البلدية . فانه تتبع تلك الامثال وهذه المصطلحات وتوفر على تدوينها مبوبة حسب موضوعها ومغزاها وجعلها مجموعة كاملة تحت عنوان « امثال العوام » .

وهو لم يكتف بنقل هذه الامثال والمصطلحات بلهجتها العامية باللغة العربية بل انه قام بترجمها الى اللغة الفرنسية التي كان يجيدها اجادة تامة . وقد قدم لهذه الترجمة الباحث الاجتماعي الفرنسي جورج دي لافوشاردير .

وهذا الكتاب الذي يعتبر نسقا مبتكرا في بابه ما يزال ايضا مطويا بخط مؤلفه في ادراج مكتبته الخاصة.

مؤلفاته المطبوعة

اذا كان الاجل لم يفسح للمترجم له متسعا من الوقت لتحقيق ما كان يصبو اليه من طبع ما تقدم من الابحاث التي جمعها في كتب مستقلة . الا انه رحمه الله قد تمكن بالرغم من شواغله في جمعية التجار في بيروت ان يطبع غيرها من الابحاث التي تناول فيها موضوعات لا تقل اهمية عن مخطوطاته المذكورة سواء من الناحية التاريخية او القيمة الادبية .

ونحن نثبت فيما يلي قائمة باسماء الكتب التي طبعها المؤلف خلال فترات متفاوتة من حياته مع ذكر لمحة موجزة عن مادتها وموضوعها .

١ ـ آل طبارة :

عدد صفحاته ٢٧٤ من القطع الكبير . صدر في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٧٣ هـ الموافق في ٣١ كانون الاول ١٩٥٣ م . طبع في مطابع قلفاط ـ بيروت . ويقول المؤلف في الاسباب التي حفزته الى تأليف هذا الكتاب :

« هذا كتاب عنيت فيه بوضع تاريخ أسرة طبارة التي تربطني بها لحمة القرابة وصلة الارومة وقد قصدت به تعريف ابناء الاسرة الى انفسهم والى احفادهم وذراريهم ثم الى الناس ، بعد ان ظلت حقيقة امرهم حتى يومنا هذا ، مجهولة او في حكم المجهولة من الاكثرين » .

وقد انتهز المؤلف فرصة الكتابة عن عائلته آل طبارة فقدم بين يدي موضوعه دراسة قيمة عن علم الانساب والآثار الحميدة لتعارف ابناء العائلة الواحدة بعضهم ببعض معتمدا على ما جاء في القرآن الكريم وما اثر في

الحديث الشريف من الحض علـى صلة الرحم بين ذوي القربى والاهل في مجال تعاونهم علـى الخير والنهوض بمستوى افرادهم في مختلف الحقول والميادين . وهـذا الكتاب مقسم الى سبعة فصول :

الاول – في علم الانساب وبيان مكانته عند العرب واثره في تقوية الروابط العائلية بين افراد الاسرة الواحدة.

الثاني – في الحديث عن المواطن الاصلية التي قدمت منها بعض الاسر البيروتية الحالية وفي جملتها آل طبارة ، اسرة المؤلف نفسه .

الثالث – في تعليل الاسباب التي حملت بعض المغاربة على النزوح من ديارهم والقدوم الى بلاد الشام واختيار بيروت لاقامتهم وسكناهم .

الرابع – في استقراء الملابسات التي رجحت لدى المؤلف انتماء عائلته « آل طبارة » الى اصل مغربي .

الخامس – في عرض مفصل لآل طبارة القدامى منهم والمعاصرين وفقا لانسابهم .

السادس – في توضيح المراتب الاجتماعية للنابهين من آل طبارة مع ذكر ترجمتهم الشخصية والاعمال التي مارسوها والوظائف التي تقلدوها .

السابع – في نقل نصوص بعض الوثائق الرسمية التي ورد فيها ذكر آل طبارة وقد نقل المؤلف هذه النصوص من سجلات المحاكم الشرعية في بيروت .

هذه هي محتويات كتاب « آل طبارة » وجدير بالذكر أن هذا الكتاب قد اتاح لنا الاطلاع على كثير من ملامح المجتمع الاسلامي في بيروت من خلال الحديث عن اسرة المؤلف والوثائق الرسمية المرتبطة بهذه الاسرة .

٢ – الرقص في لبنان عبر العصور

عدد صفحاته ١١٨ من القطع الكبير . صدر في ٢٥ آب ١٩٥٧ م طبع في مطابع دار الكشاف – بيروت ، الطبعة الاولى .

تناول المؤلف في هذا الكتاب موضوع الرقص : تاريخه وفنونه واغراضه . واهتم بتقديم فكرة عامة عن الرقص الديني عند الفينيقيين من خلال الطقوس التي كانوا يمارسونها في هياكلهم ومعابدهم وقدم لنا بهذه المناسبة طائفة من الرسوم والصور التي تمثل الفينيقيين خلال قيامهم ببعض الرقصات الدينية في اوضاع مختلفة.

وقد استعان المؤلف ببعض الكتب الدينية ليكشف لنا عن الاصول الروحية التي قام عليها فن الرقص عند الشعوب القديمة . فاختار من هذه الكتب نصوصا تتضمن الوانا من تلك الاصول التي ترجع في الواقع الى رواسب وثنية تخلفت عن العهود التاريخية السحيقة .

وفي هذا الكتاب عرض تاريخي للرقص عند العرب قبل الاسلام وبعده وبصورة خاصة في ايام العباسيين ببغداد وابان الحكم العربي في الاندلس دون أن يغفل الاشارة الى الغناء والمغنين وما يتصل بهذا الموضوع من الحكايات والطرائف التي تروى عن اعلام هذه الفنون في قصور الخلفاء والاعيان ومن اليهم في مختلف الاقطار الاسلامية خلال العهود الماضية .

وبطبيعة الحال فان الحديث عن الرقص يقود حتما الى الحديث عن الموسيقى والغناء لما بين كل هذه الفنون من الجوامع المشتركة التي تجعل بعضها يكمل البعض الآخر . ولذلك فان المؤلف رحمه الله افرد في كتابه المذكور صفحات كثيرة لدراسة الموسيقى والغناء عند العرب مع التركيز على هذين الفنين في لبنان وبصورة خاصة خلال العصر الحديث .

وقد حرص المؤلف على توجيه الانظار الى ان (الرقص وما يتبعه من موسيقى وغناء ليس متعة للمتلهي ولا ضربا من استرخاء الطبع وكسر النخوة ودك الرجولة، بل هو وسيلة من وسائل ترهيف النفس وتنعيمها بما يجلو لها من صور الجمال المهيب . الرقص جزء من الحياة وضروة اجتماعية ومظهر لمقياس رقي الامم ورياضة بدنية وذهنية لصقل الطباع وتثقيف الذوق ومتعة جميلة للاستجمام ، اذ لولاه لكانت حياة البشر جافة لا تحتمل وعبئا ثقيلا لا يطاق) .

ثم ختم المؤلف كتابه بكلمة وجهها الى مواطنيه اللبنانيين طالبا اليهم ان يكون رقصهم (شعبيا لبنانيا يعبر عن مشاعرنا ويلائم اذواقنا ويناسب مألوف عاداتنا وتقاليدنا ، ويفصح عن آمالنا وامانينا ويمثل واقعنا وطبيعة بلادنا) .

٣ – الامام الاوزاعي – سيرته ، شخصيته ، تعاليمه وآراؤه – عدد صفحاته ٣١٧ من القطع الكبير ، صدر في ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ الموافق ٢٩ ايلول ١٩٦٥م . طبع في مطابع دار الريحاني بيروت ، الطبعة الاولى .

في هذا الكتاب اراد المؤلف ان ينوب عن مواطنيه اهل بيروت في الاعراب عن تقديرهم للامام عبد الرحمن الاوزاعي الذي كانت مدينتهم آخر ارض مس جلده ترابها بعد انتقاله من هذه الدنيا الى الدار الآخرة قبل ست وثلاثين ومائتين والف من السنين الهجرية . اذ كانت وفاة هذا الامام سنة ١٥٧ هـ (٧٧٤ م) .

وليس من شك في ان المؤلف رحمه الله اختار افضل الوسائل وابقاها اثرا في التعبير عن عاطفة البيروتيين نحو هذا الامام الكبير الذي اصبح قبره ببيروت من المعالم الاثرية التي اضافت الى تراثهم التاريخي صفحة مشرقة في امجادهم الخالدة .

ولا بد من القول بأن المترجم له عندما الف هذا الكتاب انما اراد ان يرضي رغبته الملحة في الوفاء لشيخ الاسلام وامام اهل الشام في زمانه . كما اراد في نفس الوقت ، ان يرضي طموحه الشخصي في الكتابة عن بيروت نفسها ، وذلك عن طريق الكتابة عن الشيخ الامام الثاوي في الطرف الجنوبي منها . ولقد اصاب المؤلف

هذين الغرضين ، فجاء كتابه الذي نحـــن بصدده بادرة عاطفية تفيض بالوفاء ومصدرا تاريخيا يبعث الفخر في صدور الابناء اعتزازا بتراث الآباء .

والكتب التي الفت في الماضي عن الامام الاوزاعي نادرة ، بل ان كل ما كتبه السلف مــن رجالنا الاقدمين عنه لم يتجاوز صفحات قلائل جمعها احمد بن محمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر ابن زيد الشهاب ابـو العباس الشمس الموصلي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن زيد ، تحت عنوان «محاسن المساعي في مناقب الامام عبدالرحمن ابن عمرو الاوزاعي » وذلك في سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧م) .

ولقد بقي هذا الكتاب الفريد الوحيد عـــن الامام الاوزاعي ضائعا مجهولا لا يعرف احد عنه شيئا الـى ان عثر عليه ، صدفة ، الامير شكيب ارسلان رحمه الله وهو يطالع في مكتبة برلين الملوكية عندما كـان في المانيا سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) فقراه وبادر الى تصويره وطبعـه سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) وقـد كتب تحت عنوانـه العبارة التالية :

« عن نسخة مخطوطة وجـدت في مكتبـة برلين الملوكية ، بقلم زين الدين بن تقي الدين بـن عبد الرحمن الخطيب غفر الله له » .

وزين الدين الخطيب المذكور هو الذي كتب بخطـه النسخة التي وجدها الامـير شكيب في مكتبـة برلين الملوكية وصورها ثم طبعها . وهذا الناسخ كان حيا سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) .

ومنذ ان كتب ابن زيد الحنبلي كتابه المذكور بقيت اخبار الامام الاوزاعي متفرقة في الكتب المختلفة لا يمكـن جمعها الا بالرجوع الى العشرات من هذه الكتب حتى قام الاستاذ انيس زكريا النصولي رحمه الله فوضع في سيرة الامام رسالة صغيرة بعنوان « الامام الاوزاعي » وكـان ذلك في سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) بيـد ان هذه الرسالة لم تكن اكثر من صفحات معدودة . وبقي هـذا الموضوع ينتظر من يعطيه حقه من العناية والدرس ، فلمـا الف المترجم له الاستاذ شفيق طبـارة كتابه حظيت المكتبة العربية بما سد الفراغ الذي كانت تشكو منـه في هـذه الناحية واصبح بين يدي الراغبين في معرفـة الاوزاعي او الكتابة عنه ، مرجع يستقون منه ما يريدون معرفته .

وهكذا يكون شفيق طبارة اول مؤلف معاصر يقـدم للمكتبة العربية المرجع الذي كـان ينقصها عـن الامام عبدالرحمن الاوزاعي . وهنا فاني لا اجد غضاضة من القول بأن هذا المرجع قد ساعدني كثيرا على تأليف كتابي عـن الامام المذكور وهو بعنوان « عبد الرحمن الاوزاعي ، شيخ الاسلام وامام اهل الشام » ولا يسعني الا ان اردد في هذه المناسبة قول ابـن مالك ، صاحب الالفية في النحو موجها شكره الى ابن معطي الذي سبقه الى نظم قصيدة في نفس الموضوع :

وهو بسبق حائز تفضيلا   مستوجب ثنائي الجميلا

ويقول المؤلف في بيان السبب الذي دفعـه لتأليف هذا الكتاب : « وقد شدد عزمي على القيام بهذا الواجب انني كنت كلما تعمقت في تاريخ هـذا الامام الجليـل ، هزتني من حياته مواقف العظمة والبطولة وبـدا لـي ان الطبيعة لا تختص بمثل مزاياه الا الرجال الافذاذ . اولئك الصفوة المختارة الذين اعدتهم العنايـة الالهيـة للهداية ، فشقوا طريقهم الى المجد ، وبذلوا للناس اضعاف ما بذلوا لانفسهم ، فكانوا من العظماء لا مـن الاغنياء لان العظمـاء انما تخلدهم فضائلهم واعمالهــم ولا يخلدهم جاههم واموالهم » .

هذه هي الكتب الثلاثة التي صدرت للمترجم لـه وطبعت في حياته ، ونحن لا نعرف له كتبا اخرى مطبوعة، غير انه رحمه الله اعلن في آخر صفحات كتابـه « الرقص في لبنان » عن كتاب له عنوانـه « مارك تويـن » الكاتب الاميركي الفكه عرض فيه الكاتب المذكور من خلال حياته ونوادره وقصصه ، وذلك لاول مـرة في اللغـة العربية .

وقال المؤلف بان هذا الكتاب سيصدر قريبا ، وكان ذلك في سنة ١٩٥٧ م ولكن هذا القول لم يتحقق وبقي الاعلان عن صدور الكتاب المذكور وعدا مــن غير تنفيـذ ، وان المترجم له مضى الى رحمة ربه في غيبـة ابدية قبل ان يتمكن من انجاز وعده .

وهكذا بقي العديد من الكتب التي تعب المترجم لـه في اعدادها وتأليفها محجوزة في ادراج خزانـة كتبـه كما تركها بخط يده . وانا لنأمل في ان تجد هذه الآثار العلمية القيمة في اقرب وقت ، طريقها الى المطبعة ، على يد اسرته من آل طبارة الذين لا تنقصهم الحمية لابراز اسم الرجل الذي وقف نفسه على التنويه بهم مسخرا لذلك فكـره وقلمه وجهده . وفقد حياته وهو يلهـج بذكرهم ويعمـل على تسجيل مفاخرهم وتراث اسلافهم .

وبعد ،

فاني كتبت هــذه الكلمـة فــي ترجمة حياة شفيق طبارة قياما بواجب الوفاء لهـذا الصديق العزيز الذي غاب عن دنيانا ولن يعود . تاركا من بعده في ميادين الادب والعلم والمروءة والاخلاق فراغـا لا يعوض وحسرة لا تزول .

رحم الله فقيد بيروت والهم آلـه ومواطنيه جميل الصبر والعزاء .

طـه الولي

رويـدك

★

رويدك ان شأنك غير شاني   وقصرك لست بالرجل الهدان
ولكن شاعر ملأ الليالي   غناء هز اعطاف الغواني
يمد يديه للنجم اختيالا   ويهوى نيل فارعة الاماني
فما في الارض للشعراء مأوى   ولكن في السماء لهم مغاني
فقد رقت نفوسهم وشفت   فصارت مثل فجر اضحوان
تعيش بعالم ملأوه حقدا   وعقبى الحقد مجلبة الهوان
فقد ندر الوفاء به وجفت   ينابيع المحبة والحنان
وكأي من أخ أغوى اخاه   واورده زعاف الافعوان
وكم من زوجة خانت فتاها   فلم تحفظ وداد فتى هجان
وكم ولد عقوق عق أما   مثال العطف والام الرزان
فيا عصر الخنى لا كنت عصرا   غدت فيه الحرائر كالزواني
وصار المال عند الكل ربا   بهي الوجه منطلق اللسان
ولو عقلوا رأوا في المال مسخا   هجين الاصل عاش بلا جنان
أناني تغول كل حر   ابي النفس موطود المباني
وان الحر يرذل كل مال   حرام جمعه والمال فاني
فعش للشعر ان الشعر قوت   لارواح تعبن من الزمان
وغرد هائما في كل روض   على نغم المثالث والمثاني
واسكر من جمال الافق نفسا   صباها لون افق ارجواني
وبحر لازوردي مهيب   يروع جلاله مهج الحسان
عميق يحتوي سرا عميقا   كنفس الشاعر الخضل البيان
تراه مزمجرا آنا وآنا   تراه منعم الاحلام هان
ينظم من قوافي الدهر شعرا   حصيد الحبك يحفل بالمعاني
تعلمت الغناء لديه حتى   بلغت به مقاليد الاماني
فرحت اصوغ للاجيال شعرا   يجوب الارض من قاص ودان
وقفت على العروبة ما حواه   من الكلم الحكيمة والمباني
وان العرب لو علم الاعادي   جبال الفضل رمز العنفوان
فان تجهل سل الايام عنهم   تجبك بانهم جدر البيان
وكانوا يمسكون الارض طرا   فاضحت بعدهم دون اتزان
وكم قد بددوا بالعلم جهلا   وكان الجهل ممتد الجران
وكانوا سادة الدنيا قديما   اذا اضطربت دحوها بالاماني
فماذا جد حتى انهار مجد   تحدى الشمس في ماضي الزمان
فصاروا من مخاذيل البرايا   وهزأة كل ممرور جبان
ولكن اطمع الاعداء فينا   خلاف هد شامخة الكيان
فوثبا يا شباب العرب وثبا   الى حرب اليهود بلا ليان
فاما عيشة بالعز تقضى   واما موت أحرار خشان

لاباز ــ بوليفيا   جورج الكعدي



عبد الرزاق الهلالي

شعراء من العراق

الحاج محمد حسن كبه

١٢٦٩ هـ ـ ١٣٣٦ هـ
١٨٥٢ م ـ ١٩١٨ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

توطئة : يرجع الفضل في التعريف بهذا الشاعر الكريم ، الى شاعر العراق الكبير ، المغفور له ، السيد حيدر الحلي . فقد سجل لنا في كتابه الشهير الموسوم بـ « العقد المفصل » صفحات نيرة ، تحدث فيها عن حياة هذا الشاعر ، وعن آبائه واجداده ، واثبت على صفحاته العديدة ، نماذج كثيرة من شعره ونثره ، وما جرى بينه وبين لداته من شعراء وادباء عصره ، من رائق الشعر ، وجميل الموشحات ، وفاخر الرسائل !

وان من يقرأ كتاب السيد حيدر الحلي ، يعجب أشد الاعجاب ، بهذه الشخصية العراقية الفذة ، الا انه يأسف أشد الاسف ايضا على تجاهل كثير من اساتذة الادب الحديث ، وتغافلهم عن الكتابة عنه ، وعن اثره في الحركة الادبية في العراق ، في القرن الماضي ، اللهم الا ما ذكره عنه استاذنا الدكتور محمد مهدي البصير في كتابه الموسوم بـ « نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر » .

فمن هو يا ترى هذا الشاعر ؟ وما اثره في الحياة الادبية في بغداد والحلة والنجف وغير ذلك من البلدان العراقية ، في القرن الماضي ؟! هذا ما سنكشف عنه فيما يأتي :

آل كبه : ينتمي هذا الشاعر الى العائلة العربية المعروفة في بغداد باسم « آل كبه » ، هذه العائلة التي يتصل نسبها بقبيلة « ربيعة » العربية المشهورة . وآل كبة ، أهل تجارة وعلم وفضل وأدب ، نبغ منهم في حقل العمل التجاري عدد من الرجال ، في حين اشتهر بعض من ابناء هذه العائلة الكريمة بالتبحر بعلوم الدين او الشعر والادب . فقد كان لهذه العائلة بين رجال الدين ، علماء كبار ، كما كان لهم بين الشعراء ، رجال لهم في حقل الشعر منزلة كبيرة وشأن رفيع !

الحاج محمد صالح جلبي : ويعتبر الحاج محمد صالح جلبي ، الذي نبغ في القرن الماضي ، في مقدمة ابناء هذه الاسرة ، اذ جدد ما كان لها من مقام بارز وشأن عظيم في المجتمع العراقي ، فقد كان ذا مزايا عالية ، وصفات حميدة وأياد كريمة ، حببته الى العلماء والادباء والشعراء خاصة والى الناس عامة . فقد كان ورعا محبا لعمل الخير ساعيا في سبيل البر والاحسان ، باذلا جهده لمساعدة الفقراء والمحتاجين ، مما جعله قدوة أهل الفضل والكرم .

ان رجلا مثله ، لا بد ان يكون موضع تقدير الشعراء والعلماء ، وها هو ذا السيد حيدر الحلي ، الذي كانت له بآل كبه الكرام صلات ود متينة ، يمدحه قائلا :

بنور وجهك لا بالشمس والقمر	اضاء أفق سماء المجد والخطر
وفي البرية من معروفك انتشرت	رواية الشاهدين السمع والبصر
فكفك البحر ما غاص الرجاء به	الا وابرز منه أنفس الدرر
ودار عزك تغدو الوفد ناعمة	فيها بارغد عيش ناعم نضر
ما زلت ترفع فيها للقرى كرما	نارا شكا الافق منها لافح الشرر

محمد الحسن : وفي شهر رمضان سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م ، ولد لهذا الرجل الكبير ، ولد سماه « محمدا » وكناه بـ « الحسن » ، وفي كنف هذا الاب الجليل نشأ هذا الوليد ، نشأة عربية كريمة ، حتى اذا بلغ مبلغ الصبيان ، دخل احد (الكتاتيب) وقرأ القرآن الكريم ، وتعلم شيئا من الحساب وحسن الخط على طريقة اهل ذلك العصر . ولما كان ابوه راغبا في ان يربيه تربية دينية ادبية ، فقد عهد بمهمة تعليمه ، الى بعض افاضل الاساتذة ، حتى اذا نما عوده ، واصبح في عداد الشبان ، اتقن بحذق ، ما لقن من علوم الدين ، ودروس الادب . وقد ظهر في هذه المرحلة من حياته ، حبه للشعر وميله للادب ، وكان أظهر ما حذق ، نظم الشعر ، اذ اخذ يمارس نظمه بكل يسر وسهولة . ومما ساعده على الاجادة في هذا المضمار ، موهبته وقريحته المتفتحة ، وما كان في متناول يده من كتب الادب ودواوين الشعر

التي كانت تزخر بها مكتبة أسرته الغنية !!

قصر آل كبه ، او المنتدى الادبي : واذا كان الادب العربي في مختلف عصوره قد حفظ لنا ، صورا رائعة ، عما كان يدور في قصور الخلفاء او دور الامراء وبيوت الوزراء ، من مناظرات ومسامرات ومطارحات في دنيا الشعر والادب ، وكانت هذه القصور والدور أشبه بالمنتديات الادبية ، فقد حفظ لنا الادب العراقي أيضا ، الشيء الكثير مما جرى في قصر آل كبه ، في القرن الماضي ، وعلى الاخص في ايام شاعرنا المترجم له .

لقد كان هذا القصر المطل على شاطيء دجلة في الجانب الشرقي من بغداد ، مقصد العلماء والادباء والشعراء ، اذ كانوا يقيمون فيه أسابيع بل شهورا ، معززين مكرمين ، يقضون اوقاتهم بالمطارحات الشعرية ، والمحاورات الادبية ، والمساجلات العلمية . وقد حفظ لنا كتاب « العقد المفصل » الشيء الكثير منها .

وفي قصيدة بعث بها أحد رواد هذا القصر المنيف ، وهو الشاعر السيد عباس العاملي ، الى صديقه الشاعر الكبير السيد محمد سعيد الحبوبي ، يعرب له فيها عن مشاعره نحو هذا القصر ، ونحو صديق الاثنين ، الحاج محمد حسن كبه ، قال فيها :

ازعجتنا النوى وكنا جميعا	بربى (الكرخ) في نعيم وزلفى
في مشيد من القصور منيف	أوطاته حمراء دجلة كنفا
فسما تحسب البسيطة رامت	أن تشم السما ، فمدته أنفا
شامخ الركن والازاهير تزهو	جهتي أرضه ، اماما وخلفا
فانتظمتا عقدا وواسطة الـ	ـعقد ، اغر قد رق طبعا وشفا
ذاك من علم الهيام فؤادي	وسقاني مدامة الحب صرفا

ذاك خلي (محمد الحسن) الاخلاق والخلق أحسن الخلق وصفا

الرحلة المكية : وبينما كان شاعرنا الشاب ، يمارس عمله التجاري ، مع اخيه الحاج مصطفى ، رغب في اداء فريضة الحج . وهكذا وفي سنة ١٢٩٢ هـ — ١٨٧٥ م ، غادر بغداد ، قاصدا الديار المقدسة ، حتى اذا عاد من ذلك الحج المبرور ، عاد وفي جعبته (ارجوزة) طويلة ، ناهزت الالف بيت ، سماها بـ « الرحلة المكية » سجل فيها كل ما رآه من مشاهد ، وتعرض له في السفر من مشاكل ومتاعب ، وما قام به في الحج من اجراءات ومناسك ، وكل ما وقع له في طريق رحلته هذه من احداث ووقائع ، ولذلك يمكن القول ، ان هذه (الارجوزة) اشبه ما تكون بالمذكرات والخواطر !

ولقد اشار السيد حيدر الحلي ، في كتابه الى هذه الرحلة ، وقال انها ستنشر بصورة مستقلة ، ولكنها لم تصدر حتى الان ، الا اننا وقفنا على اربعة ابيات منها وردت في مذكرات ابن هذا الشاعر الاستاذ محمد مهدي كبه اثبتها كمثال على ما جاء فيها وهي قوله :

قال محمد بن صالح الزمن	من لقبته المكرمات بالحسن
أبدأ باسم الله يمنا باسمه	وأحمد الله على أنعمه
وافضل الصلاة والسلام	يهدى من المهمين العلام
الى النبي المصطفى وآله	ومن جرى هديا على منواله

وقد قرظ السيد حيدر ، رحمه الله ، هذه الرحلة بكلمة رائعة نشرت في ديوانه ، جاء فيها قوله : اقول ، لعمري ، اين يقع هذا التقريظ من مدحه على هذا النظم ، الذي عادت به حياة القريض ، انـي لاحمد الله على ما اولانا من عظيم المنن ، اذ رفع يتم الشعر في هذا الزمن ، بخلف أبنائه ، الحسن ، وحقيق ان اقول فيه ، وان لم أوفه من المدح حق معانيه :

ما حلية الدنيا سوى أمجادها	يزهر في بهائها نديها
واليوم قد زينت ومن محمد	لا من سواه حسن ، حليها
قد نسج الفخر له مطارفا	مطرز ، بضعه ، بهيها

الهجرة الى النجف : وحين تزوج شاعرنا بعد عودته من الحج ، واستقر في هذه الحياة الزوجية بضع سنين ، أحس ، ان مكانه في ميدان العمل التجاري ، غريب ، لم يعد يطيق البقاء فيه ، ولذلك القى باعبائه على عاتق اخيه ، (الحاج مصطفى) راغبا في الهجرة الى النجف الاشرف ، طلبا للعلم ورغبة في التبحر بعلوم الدين . فغادر بغداد اليها في سنة ١٢٩٩ هـ — ١٨٨١ م ، ومنذ ذلك التاريخ ، عزف عن الشعر الا قليلا ، اذ انصرف كليا الى متابعة الدرس والتحصيل في هذه المدينة المقدسة . ولكنه ما ان مكث في هذه المدينة سبع سنين حتى قرر مغادرتها قاصدا مدينة « سامراء » مقر العالم الكبير الميرزا محمد حسن الشيرازي كبير مجتهدي الشيعة الامامية آنذاك ، فلما وصل اليها ، حل من هذا الشيخ الجليل محلا ساميا ، فلما توفي هذا الاستاذ في سنة ١٣١٢ هـ — ١٨٩٤ م ، عكف على ملازمة خليفته العلامة الميرزا محمد تقي الشيرازي .

وقد بقي شاعرنا في سامراء ينهل من منابعها الدينية ، حتى اذا قامت الحرب العالمية الاولى وزحفت قوات الاحتلال البريطاني لاحتلال العراق ودخلت مدينة سامراء سنة ١٩١٧ ، انتقل الى مدينة الكاظمية مع عائلته بعد ذلك .

وفاته : لكنه لم يلبث في هذه المدينة المقدسة الا بضعة اشهر حتى وافته المنية ، اذ توفاه الله في آخر شهر شعبان من سنة ١٣٣٦ هـ — ١٩١٨ م وله من العمر (٦٨) عاما .

بين الادب والدين : يتضح لقاريء هذه الترجمة الموجزة ، ان لهذه الشخصية الكريمة صفحتين ، تمثل كل منهما مرحلة من مراحل حياته وهما :

أولا — المرحلة الادبية : وهي التي استغرقت بعض سني حياته التي تنتهي بسنة ١٢٩٩ هـ — ١٨٨١ م .

ثانيا — المرحلة العلمية الدينية : وهي التي استغرقت بقية عمره ، وكان خلالها مثال العالم الورع ، الذي اكب على دراسة علوم الدين ، دراسة تبحر وتمعن وادراك . حتى نال (الاجازة) بالفتوى ورواية الحديث من اكثر مشايخه وعلماء عصره .

الاديب الشاعر : قلنا في صدر هـذا البحث ، ان اخبار شعر هذا الشاعر ومركزه الادبي كادا ان يصبحـا خبرا من الاخبار ، لولا ما قام به السيد حيـدر الحلي ، حين شمر عن ساعد الجد ، فجمع ما قال هـذا الشاعر الشاب ، من شعر رائق ونثر رائع وموشحات جميلـة ، قالها في ايام شبابه ، ونقول في ايام شبابه ، لانـه حين انصرف الى دراسة العلوم الدينية ، هجر قـول الشعر ، وعزف عنه الا قليلا ، شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء الذين توجهوا للتخصص في الدراسات الدينية ، ولهم في الامام الشافعي اسوة حين قال :

ولـولا الشعـر بالعلماء يـزري   لكنت اليوم أشعر مـن لبيد !

شعره : ولما كان السيد حيدر قـد جمع في كتابه « العقد المفصل » نماذج كثيرة من شعره ، فان الذي يقرأ هذا الشعر ، يجد ان شاعرنا ، لم يكن يخرج في شعره عن اسلوب شعراء عصره ، الا انـه يجد فيـه ايضا طابع البداوة ، حيث يكثر عنده ذكر الاطلال ومرابـع الاحباب ووصف الناقة وما الى ذلك .

وحين قدم السيد حيدر هذا الشعر ، وتحدث عن نظم صاحبه قال « اما نظمه فجمان سلك ، تتمنى الحور ، لو زانت به نحورها ، ووشحت به الهيف خصورها ، ان انسب اغرب ، وان شبب أطرب ، فنسيبه الحلو الحلال ، وتشبيبه العذب الزلال ، بل هو في جميع فنون الشعر ، طويل الباع ، غزير الاطلاع ، سمـح البديهـة ، حسن الروية ، ولود الفكرة ، رقيق الحاشية ! »

نماذج من شعره : لما لم يكن لهـذا الشاعر ديوان مطبوع ، فقد تسنى لنا جمـع العديد من قصائده وموشحاته ، واخترنا منها نماذج تمثل شعره في شتـى الاغراض . الا اننا رغبة منا في عدم أخذ صفحات اكثر من مجلة « الاديب » الزاهرة ، اخترنا للقراء الكرام بعضا منها تاركين اثبات ما له من شعر في كتابنا الذي اسميناه بـ « شعراء من العراق » . والى القارىء هذه النماذج :

١ ـ قال متغزلا

شجاك هوى الملاح فذبت وجـدا   ونادمت السهـى أرقـا وسهـدا
وأشجيت الحمائـم فـي مناح   يهـد حشـاك والاطـوار هـدا
وراعك يـوم ذات الاثـل ظعـن   ألـح عليـك بالزفـرات وخـدا
فصوح مـن زفيرك كـل زهـر   وعاد بدمعـك الزهـر المندى
فـدع نجـدا وسكانـا بنجـد   أليس الكـرخ قـد أنساك نجـدا
باغيـد أبهـر النسمات لطفـا   وراع شقايـق النعمـان خـدا
وأخجـل سرب آرام المصلـى   لحاظا والغصون الميـد قـدا
أرق مـن النسيـم الغض طبعـا   لـه قلـب مـن الجلمـود قـدا
كليـلات لواحظـه ولكـن   نبـا لمضائهـا الهنـدي حـدا
فيـا للـه مـن لحظـات ريـم   لعـوب بالفؤاد تـروع أسـدا

٢ ـ وقـال مفتخرا

لعمر أبيك ليس الشعـر فتـي   وان سارت بمدحتـي القوافـي
سل الضيفان عن أهلي وعنـي   وسلهم عن قراي وعـن صحافي
وسلهـم عـن قـدور راسيـات   بحيـث شمـام ثالثـة الاثافـي
وسل حساد مجـدي عـن ذراه   وما جرعوا مـن السم الزعاف
فبيتي ذاك مفـزع كـل وفـد   وملجـأ كـل منتجـع وعافـي

٣ ـ وقـال متغزلا

مالي ومالك يـا أغن   فالقلب عنـدك مرتهـن
أنت الذي ان زرتنـي   أذهبت مـن قلبي الحزن
واذا هجـرت متيما   غادرتـه غـرض المحـن
بجفاك واصلني الجوى   حتى جفـا جفني الوسن
فاملك علـي حشاشتي   يـا مالكي مـن غير من
قد كنت تمنحني المنى   وتـزور سرا او علـن
فشحذت لي حد الظبا   وقلبت لـي ظهـر المجن

يا راكب الحرف التي   تجتاب سهـلا أو حزن
هـلا مررت بربعهم   وحبست في تلـك الدمن
ونشدت ثمـة مهجـة   عبثت بهـا كف الزمـن
ينـزو فؤادي كلمـا   بـرق مـن الزوراء عـن
فيهـا بديـع محاسن   ملـك الفؤاد بـلا ثمـن
يـا من ينقض عهوده   في الود نقض العهد سن
انـي لذكـرك حافظ   حفظ الفرائـض والسنن

٤ ـ وقال في القهوة

وقهوة طاب مـن أرواحها عبـق   فلـذ مصطبح فيهـا ومغتبـق
كالشمس تعبث في النادي أشعتها   اذ لاح في وجنة الساقي لها شفق
عنيت صهباء قـد شيبت بريقته   او التي من دجى ظلمائها الفسق
من كف ساق ، ولكن من لواحظه   وما أرق مداما كأسها الحـدق
أرخى على الابلج القاني غدائـره   فالليل منسدل والصبح منفلـق
يا جيرة الحي من نجران ما ذرفت   عيناي الا وشبت في الحشا حرق
سقيا لدارك من دار أرقت بهـا   واين مني ، لولا عهدها ، الارق

٥ ـ وقال متغزلا ايضا

مـا لقلبـي تهـزه الاشواق   خبرينـا أهكـذا العشـاق
كـل يـوم لنـا فـؤاد مـذاب   ودمـوع علـى الطلول تـراق
عجبا كيف تدعي الورق وجـدي   ولـد معـي بجيدهـا أطـواق
كم لنـا في الحمى معاهد أنس   والصبا يانـع الجنـى رقـراق
عهـد لهـو بـه الليالي ترامت   مالـه عرست بـه الاحـداق
يـا لظعن بـه النيـاق تهادى   نهنهـي السير ساعة يـا نيـاق
فبأحداجك استقلـت ظبـاء   آنسات بيض الخـدود رقـاق
فارحمي يـا أميـم لوعـة صـب   شفه يـوم ذي الاثيـل الفراق
كاد يقضي مـن الصبابة لـولا   أن تحاماه في الوداع ، العنـاق

٦ ـ وقال ايضا

أنـا ان همت صبـوة بالعذار   في الغرام العذري صح اعتذاري
فاحمرار الشقيق يزهو اذا مـا   حف مـن آس روضه باخضرار
فبخديـه مثـل مـا بفؤادي   مـن لهيب تذكيـه جـذوة نـار
رشـأ تستعـير رقتـه ...   اذا مـا مـر كالنسيم الساري
كيف يجدي كتمان سر غرامـي   ودموعـي تنـم بالاسـرار
يـا عذولي علـى تصابي دعنـي   والتصابي ، ان التصابي شعاري
لا تـزد في الهوى اواري فانـي   مـن عيون الورى أواري أواري
بابي مـن عصيت فيه اللواحي   وعصاني علـى هواه اصطباري
بـي رفقا فـلا تزدنـي أوارا   ان زند الغرام في القلب واري

مع شعراء عصره : وللحاج محمد حسن رحمه الله، مع كبار شعراء عصره ، امثال العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي ، والسيد حيدر الحلي، والشيخ جعفر الشروقي والسيد عباس العاملي ، وغيرهم ، كثير مـن المساجلات والمطارحات الاخوانية الرائعة ، سجل كثيرا منها كتـاب

« العقد المفصل » . وبالنظر لما في هذه المطارحات من عواطف اخوانية رائعة ، نثبت فيما يلي بعضا منها :

١ ـ بينه وبين السيد الحبوبي :

لقد كانت صلته مع هذا السيد الجليل صلة متينة، انعكست في الرسائل والقصائد والمشاركات العديدة في النظم . ولكننا نكتفي بهذه الابيات التي بعث بها الى السيد الحبوبي ـ ضمن رسالة ـ قال فيها :

نسيم الصبا ان جزت كوفان بلغي   سنا هامة العليا تحية مغرمه
وان فهت نطقا فانشري طي اوعة   ورثها الليالي بين جنبي متيمه
عسى ان الفا لم يعودن جفوة   يرق ، لرق ري خديه عن دمه
فلا والهوى لولاه لم أدر ما الهوى   ولم يشجني ورق الحمى في ترنمه
ولم تلهني عن ذكره ريم رامة   ولا عيسى نعمى لا وربي وأنعمه
فيا روح، روح الصب، عجل،بردها   فما هي الا أنت يا بدر أنجمه
ودمت لمنثور اللآلي منظما   فرائد فكر أنت لجي عيلمه

اما السيد محمد سعيد الحبوبي ، فله فيه قصائد وموشحات كثيرة لم نشأ ان نثبتها في هذا البحث ، الا اننا نكتفي بالاشارة الى موشحته العظيمة التي انفذها اليه مهنيا بمناسبة زواج ولد اخيه (عبد الغني) قائلا : هذا وقد وجهت الى وجهتكم هذه الموشحة التي هي لتهنئة المجديكم مرشحة ، فان شملت القبول ، فان ذلك غاية المأمول :

هزت الزوراء أعطاف الصفا   وصفت لي رغدة العيش الهني
فارع من عهدك ما قد سلفا   واعد يا فتنة المفتتن
عارض الشمس جبينا وجبين   لنرى أيكما أسنى سنا
واصب في عطفك غصن الياسمين   وانثني غصنا اذا الغصن انثنى
حبذا لو قلبك القاسي يلين   انما قدك كان الألينا
فانعطف غصنا اذا ما انعطفا   قدك المهزوز هز الغصن
ان في خديك روضا شغفا   مقلة الرائي وكف المجتني

والموشحة طويلة مثبتة في ديوان الحبوبي والعقد المفصل ، ومما جاء فيها قوله وهو يخاطب صديقه الحاج محمد حسن :

يا (غزال الكرخ) واوجدي عليك   كاد سري فيك ان ينهتكا
...... يديك   وغرامي في هواك احتنكا
...... وخذ ... اليك   فلذيذ العيش ان نشتركا
ولماك العذب أحلى مرشفا   من دم الكرم وماء المزن

ولعل السيد رحمه الله ، وهو ذلك العالم الورع (قد توقع) وهو يبعث بمثل هذا الشعر الى صديقه الورع أيضا ، ان يأتي من يتهمه بشرب الخمر ومعاقرة بنت الحان ومصاحبة الغيد الحسان ، ولذلك سارع الى تنبيه مثل هذا المتهم الظالم قائلا :

أسفا يا أهل نجد أسفا   كيف أهواهم وهم في زمني
واذا نبت البطاح اختلفا   غلب الشوك على الورد الجني
لا تخل ويك ومن يسمع يخل   انني بالراح مشغوف الفؤاد
او بربات خدور وكلل   يتغنن بقرب وبعاد
(ان لي من شرفي بردا ضفا   هو من دون الورى مرتهني)
(غير اني رمت نهج الظرفا   عفة النفس وفسق الالسن)

٢ ـ مع السيد حيدر الحلي :

اما السيد حيدر الحلي ، فعلاقته به أقوى وامتن ، ويكفي ان نشير الى كتابه الرائع « العقد المفصل » الذي ضم فيه عشرات من القصائد والرسائل التي جرت بينهما

ونقدم فيما يلي هذا النموذج : قال السيد حيدر :

قفا حييا بالكرخ عني ربيبها   فيا طيب رياه الغداة وطيبها
تفيأ من تلك المقاصر ظلها   فعطر فيهن الصبا وجنوبها
غزال ولكن في الرصافة ناشيء   وهل تالف الغزلان الا كثيبها
فوالله ما أدري ، أزر جيوبه   على الشمس أم زرت عليه جيوبها
تعشقته نشوان من خمرة الصبا   منعم أطراف البنان خضيبها
فتى كل فخر ان نظرنا قداحه   وجدنا معلا هاله ورقيبها
تراه الورى في المحل فراج خطبها   ندى، ولدى فصل الخطاب خطيبها
الى (الحسن) اجتبنا الفلا بفوازع   خفاف سيثقلن الحقائب نيبها

وقد بعث الحاج محمد حسن الى صديقه الحلي ، بهذه المقطوعة جوابا على قصيدته التي مطلعها :

شهدت لنفسك ان الكمال   اتى معها يوم ميلادها

اذ قال مخاطبا السيد حيدر :

أريحانة العز من هاشم   وفهر وفلذة اكبادها
لقد فقت في نثرك (ابن الهلال)   أبا بدرها وابن عبادها
وفي شعرك الحكمي ، الرضي   أبا طيبها نور اورادها
وأبرزت من فكرك الحيدري   عروسا عديمة أندادها
برائق فضلك جلببتها   فها هي تزهو بأيرادها
وقلدتها بالمعاني الرقاق   فزنت عواطل أجيادها
وطوقت نحري بها انعما   يكل لساني بتعدادها
فلو أن نفسي غدت مهرها   لاكمدت النفس حسادها

وبعد : فها هو ذا الشاعر الحاج محمد حسن كبه ، وتلك هي نماذج من شعره ، رغبنا في تقديمها الى قراء الاديب الغراء ، بعد ان كانت خافية على الكثيرين منهم ، أما من أراد الاستزادة من هذا الشعر ، فما عليه الا الرجوع الى كتاب « العقد المفصل » ، والى ديوان السيد الحبوبي ، وديوان السيد حيدر الحلي ، اذ سيجد في هذه المراجع الشيء الكثير .

بغداد   عبد الرزاق الهلالي

سكينة

أحب الناس من قلبي جميعا
فالقاهم ويلقوني ببشر
كأنا قد تعارفنا قديما
وعاد لقاؤنا من بعد هجر
لكل منهم معنى فريد
أحس جماله الباهي بصدري
وحتى القبح أبصر فيه حسنا
غريبا جل عن وصف وحصر
سكينة شاعر يحيا سعيدا
على بلواه من بؤس وفقر

حلب   عمر ابو قوس

محمود تيمور

* * *

الدكتور امين عبد المجيد بدوي

هل في رثائك يستجيب بياني ... يا من رثاؤك فوق كل بيان
ملأت سماء الخافقين هوادل ... بهديل نعيك طرن من لوزان
فهزن في الملأ الكريم جوانحا ... ترتج من جزع ومن أحزان
ورق الهديل على الوفا مطبوعة ... يسعدن في شجو وفي أشجان
كم رتلت آيات فضلك خشعا ... وهدلن في أيكاتها بمثاني
وأقمن في قدس المكارم نشكا ... بمطوقات من حلى الايمان
ورويت من أدب ومن قصص ومن ... طرف يفيض بهن عذب لسان
فكأن داودا على مزماره ... سحر الانام بساحر الالحان
أو أن معبد والغريض كلاهما ... يترنمان بشرفة الايوان
فشفين قسا من هوى سلامة ... ليصير في الطوق الاسير العاني
أصفت الى ترجيعها عدوية ... فتبتلت في حضرة الرحمن
وسمت على طهر الملائك روحها ... بالحب والاخلاص والاحسان
وأصاخ زرياب الى نغماتها ... فارتد مبهورا وبات يعاني
سوراتك الغر التي رتلتها ... طارت بهن الى أعز مكان
فشأون جرول والفرزدق مثلما ... أربت شواردها على حسان
فلئن بكتك اليوم من عليائها ... فبكاؤها قطر من العرفان

« محمود تيمور » فدتك محامد ... عزت، على اسمك، يا عزيزالشان
لوزان أضحت كعبة مرموقة ... وبها القلوب ، خوافق وحواني
من حول نعشك طائفات خشع ... لك محرمات في نجيع قاني
لم يغسلوك بماء مزن انما ... غسلوك في دمع شج هتان
لم أدر ما خطب الكنانة عندما ... ترنو الى الجسد المسجى الفاني*
ما كان خطبك خطب مصر وحدها ... الخافقان عليك في ثكلان

لك في المجامع والمجالس وحشة ... يندك منها قائم الاركان
هيهات ان يملأ فراغك مالىء ... الدوح يتموه مدى الازمان
أربى على الخمسين فيضك مثلما ... أربى على الخمسين عقد جمان*
من كل موفقة يعز ضريبها ... تفرى بشدو حادي الركبان
خلبت معانيك الحسان مخائلا ... ففدت تترجمها بكل لسان
فشدهت بالغرب المدل قرائحا ... كانت تتيه على بني قحطان
فتعلمت منك التواضع خضعا ... ونزلن عن كبر وعن هذيان
أرسيت للقصص الحديث قواعدا ... وأقمت صرحا شامخ البنيان

وعكفت شيخا هاديا لاصوله … وبك استضاءت صفوة الفتيان
وعلى المسارح كم لفضلك آية … شهدت بمعجز فنك الفينان
وغضبت فيها غضبة مضرية … فاقت ـ وحقك ـ غيرة الشبان*
رسخت بعزمك في الثرى أركانها … وسمت بعزتها على كيوان
وازدادت الاهرام فيها روعة … وأفاض بو الهول من الطيران*

أرض الكنانة يا لوزان كريمة … وسخية بقلائد العقيان
لكنها بالمجد جد ضنينة … تفديه بالارواح والابدان
محمود ، من تدرين ، من أمجادها … في ذروة عزت على الاقران
لم يكفه الموروث من أمجاده … فاضاف أمجادا من التبيان
وسعت اليه المكرمات ذلولة … وجثون اجلالا وهن عوانى
فأحلها من راحتيه مثابة … وأفاض منها أيما فيضان
وكأنه النيل المبارك قد جرى … بالخير يغمر صادى الشطآن
فيحيلها بردا قشيبا نسجه … من خضرة ومزركش الالوان

لوزان قد كرمت خير وديعة … هل يستقل بشكرك الوجهان*
ورددتها محفوفة بجلالة … لنصونها في مهجة الاوطان
كالشمس في عليائها وجلالها … مكسوة ثوب السحاب الدانى
قد أودعوك بقلب مصر بواكيا … فارتج من وجد ومن خفقان
لولا الدموع وحرقة تجري بها … لنزلت يا محمود بالاجفان

بنت المعز بسيفه ونضاره … ماذا فعلت لفارس الفرسان
من صال فيك مجليا بيراعه … لا يحفلن بأبيض وسنان
لم يفره ذهب المعز وسيفه … ليعوس يوما طاهر الوجدان
أو غيرته مواكب سارت بها … زمر تبيع النفس بيع هوان
ابن الكرام كريمة أحسابه … تعلو موازنها على المران
ان تكرميه به كرمت عزيزة … وسموت فوق جلالة التيجان

جفت بحور الشعر وهي وفيرة … من لفح حزن زافر النيران
فجرت دموع العين فيك يمدها … من مهجتي قان من الطوفان
تيمور كم لك في القلوب مآثر … ما للشكور بشكرهن يدان
من جاء بالحسنى له امثالها … في جنة الرحمات والرضوان
يجزيك ربي عن فعالك رحمة … وعميم فضل في رحاب جنان

---

* الغاني بالفين ، المقيم بالمكان . * المراد مؤلفات الفقيد التي اربت على الخمسين .
* اشارة الى حملته ـ رحمه الله ـ على رأي لي في القصة المعاصرة بمقدمة كتابي (القصة في الادب الفارسي) وذلك في مقال ضاف نشر في صدر العدد الرابع من السنة الاولى لمجلة القصة الصادر في ابريل سنة ١٩٦٤ ، واعيد نشر المقال في كتابه (ادب وادباء) . * اشارة الى كتاب رحلاته (ابو الهول يطير) . * الوجه القبلي والوجه البحري من مصر .

القاهرة … امين عبد المجيد بدوي



الجزاء

قصة

بقلم المهندس حسني سيد لبيب

فوجئت اليوم بزيارة مرتقبة للمدير العام . لم اقابل المدير العام ، ولا اعرف شخصيته . فقد عينت مهندسا في احدى شركات المقاولات، واستلمت هذه العملية من زميلي الذي هاجر الى السويد . وكانت تعليمات مهندس الحكومة تتوالى باصلاح الكثير من الاعمال التي نفذت من قبل ، وكان ضغط العمل شديدا ، ومراستي فيه ما زالت حديثة . كنت ارتجف حين يصلني خطاب من المهندس المشرف على العملية ، فماذا يكون حالي اليوم وانا استقبل سيادة المدير العام الذي يكفي ان يكتشف خطأ ما — هكذا كان تصوري — ليتصل بمدير شركتي ، وقد يؤدي هذا الامر الى نقلي الى عملية اخرى ، او لفت نظر على احسن تقدير. تجسد الامر في خاطري بفظاعة يمليها الخوف ، وعدم التمرس . وكانت كثرة الاخطاء المتراكمة قد اربكتني ، ووضعتني في مازق حرج ، وفي بداية حياتي العملية ، حيث اعلق آمالا كبارا في مستقبلي كمهندس ناجح . واذا بالظروف تضعني في موقف لا أحسد عليه ، فلست قادرا على اصلاح الخطأ بالسرعة المطلوبة ، الى جانب ما هو مطلوب مني انجازه من اعمال جديدة . ولجأت الى حل وسط يوفق بين انجاز الجديد واصلاح القديم ، برغم ما في ذلك من تشتيت الجهود ، وكانت خبرة العمال لا تسعفني ، فالحمد لله تندر الكفاءة بين العاملين معي !.

دخل احمد سلطان مكتبي ، فارع الطول ، اسمر اللون ، لكنه شهم ، يقدر المسؤولية ، ولم تقعده أميته عن فهم متطلبات عمله كملاحظ كهرباء ..

— أي خدمات يا باشمهندس .

— نبه على العمال بأن المدير العام قادم .. و ..

لم تسعفني الكلمات ، فاسعفني احمد بالحديث عن خبرته في أمر هذه الزيارات . الا اني ألغيت من حسابي كل تكلف او ادعاء . واصررت على ان يقف المدير العام بنفسه على سير العمل كما هو ، وعلى طبيعته ، وليكن ما يكون .

شرد بي الذهن الى عهد الدراسة في الجامعة ، ونقمتنا على الزيف والنفاق اللذين زكما انوفنا برائحتهما الكريهة . كنت احب الحقيقة ، وادافع عنها في حماس ، حتى لو ادى الامر الى الموت في سبيل احقاق الحق !. وكانت عبارة ارسطو « احب سقراط ، لكن الحقيقة احب الي منه » تطن في رأسي منذ زمن بعيد وترسم خطوطها على شخصيتي ، وكانت عبارة بروتس التي تقول « احبك يا قيصر ، لكن روما احب الى نفسي منك » تطن هي الاخرى برأسي .

وما اكثر مواقفي ايام الدراسة دفاعا عن الحرية ، والحقيقة . وقد التبس الامر على السلطات حين ترجمت بالقول عن احساس نفسي، وكان ترجمة حقيقية لما اعانيه ، فاشتبهوا في أمري ، واحتجزت ما يقرب من الشهر ، ثم أخلوا سبيلي حين احسوا بأن ذلك مجرد انفعال لشاب لا ينتمي الى أي تنظيم . قال لي ضابط الشرطة وقتذاك :

— انك شاب متهور ، وانصحك بالتعقل بعض الشيء .. حتى لا تجرك هذه التصرفات الى المتاعب.

— شكرا لك .. واذا كان هذا تهورا ، فاني انصح نفسي بمزيد من التهور .

لماذا تجول بخاطري كل تلك الذكريات ؟.. أمن أجل زيارة المدير العام ؟.. لست ادري .. حاولت التخلص من الجمود الذي انتابني ، تجولت في انحاء الورشة ، موجها ملاحظاتي الى العمال الذين تناثروا في كل مكان . وقد كانوا جميعا يكنون لي كل احترام وتقدير، فارتحت لهم ، واعتبرتهم اصدقائي، اتسامر معهم ، واشاركهم احاسيسهم .

كنت بين الفينة والاخرى انظر الى ساعتي في قلق ، ثم اذا بي افاجأ به قبالتي ، وجها لوجه .. وكان المهندس المشرف واسطة التعريف بيننا ، واناب عني في تعريف المدير بسير العمل ، والاجابة على كل ما يثيره المدير من اسئلة ، سرعان ما ألفت محادثة المدير العام ، وتحدثت معه بصراحتي المعهودة ، فتقبل كلامي بنفس راضية . ثم اذا به يثني على جهودي ، فقضى بذلك على الوساوس التي اربكتني بعض الشيء . ثم تأكد لي — ربما لاول مرة — ان سلوكي لا يتسم بالتهور ، وانما سلوك منظم وعاقل ، سلوك ينبني على الحقيقة التي تبدد كل زيف ، وتعلن عن نفسها .

انتبه المدير العام — اثناء تجواله — الى كابل مثبت على الحائط ، فانتقد اعوجاجه ، ثم توجه الى العمال بسؤاله المحتد :

— أهذا شغل ؟.

تطوع أحدهم ، واسمه صابر ، بالرد :

— ما به ؟..

يبدو ان صابر لم يفطن الى ملاحظة المدير ، فتراءى له ان طريقة تثبيت الكابل سليمة ، وكان

تساؤله ينم عن الاستنكار لاحظة المدير العام ، مما ادى الى غضب المدير وزعيقه بصوت غاضب :

ـ أهذا شغل يا حمار ؟.

أحرقت كلماته أحاسيسي كجمرات النار ، ووددت لو تنشق الارض وتبتلعني . لماذا غضب المدير العام فجأة بعد ان كسبت وده ، واحترامه ؟. وغرقنا ـ أنا واشرف ـ في لجج الصمت ، وانتابنا توتر لم نستطع الفكاك منه . وفي غمرة حزني الصامت ، صفعني صابر بكلماته الغاضبة :

ـ لا تقل حمارا .. أنا بني آدم.

ودون ان ادري لكزته بيدي .. ثم قلت له :

ـ اسكت يا صابر .. انه المدير العام .

فازداد صابر غضبا :

ـ الانه مدير عام ، يهينني ؟.. أنا بني آدم يا باشمهندس ، له شعور ، وله كرامة . يقول لي انت غلطان ، شغلك غلط ، لكن لا يمتهن كرامتي .. كرامتي فوق كل اعتبار.

وكان المدير العام قد تسلل خارجا وفي اثره أشرف ، الذي حاول تهدئة المدير بطريقته الودودة ، بعيدا عن الجو المشحون بالتوتر والتحفز . قلت لصابر :

ـ انه المدير العام .. وبيده ان يفصلني اذا شاء .

ـ أنا مستعد ان افصل يا باشمهندس ، لكني غير مستعد ان اكسب عيشي بالمذلة والاهانة . كرامتي فوق كل اعتبار .

كادت عيناي تدمعان . ان صابر يحاكي نزعة دفينة في طوايا نفسي ، انه يستثير الشيء الراقد في اعماقي. لماذا اجمد الآن ؟. لماذا اجبن ؟. لماذا لا اساعد صابرا ؟. حقا ، لكل انسان كرامة يجب ان يدافع عنها حتى الموت !.. اليست هذه مبادئي ؟. لقد بعدت عن التكلف والنفاق ، وانا اواجه المدير العام ، فكان ذلك انتصارا لمبدأ من مبادئي،

فما بالي أتخاذل امام عامل مجروح الكرامة ؟. لقد كسبت ثقة المدير العام في اشياء كثيرة ، ولكن !.. ماذا افعل لصاحب الكرامة المجروحة ؟. هل استطيع مؤازرته ؟. أم ان الحياة ترتب لي وضعا غريبا على نفسي ؟. أفاقني اشرف من تساؤلاتي بكلمات يشوبها التوتر :

ـ اوصى المدير بمجازاة صابر .

الا بد من مجازاة صابر ؟.. العامل الطيب القلب ، ذو الخلق الحميد ، والسلوك المعتدل . انه



المهندس حسني سيد لبيب

●

يتميز عن زملائه ، فلم يحاول التقرب الي . اذا ما طلبت منه اداء عمل ، ينجزه في صمت . واذا ما اعطيته تعليمات ، يعمل على تطبيقها دون خطأ محاولا ـ قدر جهده ـ الاجادة والاتقان . لماذا يا ربي يختص صابر بالجزاء دون سواه ، وينجو من العقاب الاشقياء ؟.

لقد دافع صابر عن كرامته ، فهل يستوجب ذلك عقابا ؟. أم انه

يتوجب على الانسان ان يكون طيبا الى حد البلاهة حتى يحوز رضا رؤسائه ؟. وما حدث يكشف لي الامل الحلو في تحرير الانسان من الخوف .. فصابر كما أعرفه رجل طيب القلب ، نقي السريرة .. لكنه يثور أشد ما تكون الثورة من اجل كرامته .

تبادلت النظرات مع أشرف ، الذي كلما طلبت منه المشورة ، يواجهني بحيرة أشد مما تموج بها نفسي . أسقط في يدينا الموقف ، وكان لزاما علينا التصرف . شرحت لاشرف سبب اندفاع صابر ، ثم ذكرت له اخلاقه الحميدة .

ودهشت لامر سيادة المدير الذي اعجب بصراحتي معه ، وعدم تكلفي في الحديث .. يتملكه الغضب من عامل لا يملك الا ان يلم اشتات كرامته المهينة ، ويثور من اجلها ، وربما تضطره هذه الثورة الى الفصل والحرمان من العمل ارضاء لسيادة المدير العام !. عجبت لامر هذا المدير الذي ارتحت له اول الامر ، ثم اذا به يثور غضبا ، ويزعق بأعلى صوته !. ثم يوصي بالعقاب الرادع.

سألت أشرف :

ـ هل يكتفي بالجزاء ؟.

تفكر لحظات ثم أجاب :

ـ ربما تكون نصيحته بالجزاء ، اشارة مهذبة لفصله !

وكان هذا تكهني ايضا .

وبيد مرتعشة ، أمسكت دفتر الجزاءات ، ولاول مرة في حياتي أكتب خصم خمسة عشر يوما جزاء للعامل صابر عبد الهادي ... ووقع صابر في ورقة الجزاء في صمت أشعرني بمدى الجرم الذي ارتكبته ، وحين حاولت تطييب خاطره ، قال لي في هدوء :

ـ لست غاضبا .. فقد نلت ما يستحقني ..

ثم اردف بعد فترة صمت قصيرة:

ـ هذا رأيك أنت !.

أخذت صورة من أمر الجزاء ،

وصية شهيد

زغـردي ، يـا أم ، هيـا رددي   اعذب الالحان من أغلى الحناجـر
زغردي لــي : كل عرس تافـه   غـيـر عرس زف العلياء ثائــر
دمــي المهـر ، وروحــي حليـة   أين من روحي، يا أم ، الجواهـر
يا رفاقي ! لـو رأيتـم مـا أرى   بعدما فكت مـن القيـد المشاعر
لو رأيتم كيف تبدو ، مـن هنا ،   عنعنــات شغلتنـا ومساخــر
ضمـر الكـون جميعـا واختفت   سفسطات أنهكت منـا الضمائـر
كـل شـيء زال الا قيمـا   خالـدات تملأ الدنيـا منائـر
أمتـي تبــدو هنــا واحـدة   لا أقاليــم نراهـا أو عشائــر
حقهـا يبـدو جليــا واضحـا   لـم يزوره دخيـل او متاجــر
غـير ان الحـق اضحى مزقـا   واستبيح الوطن الغالي المصابـر
هكــذا شــاء لــه ابنـاؤه   يوم ألهتهم عــن الجلى الصغائر
يـا رفاقـي ! لا تكونـوا مثلهـم   فرقـا أضعفها طـول التناحـر
من تحدى المــوت والطاغوت لا   يتلهى بالدمـى بـين المقابــر
عندمـــا تنصهـر الارواح فــي   لهب الحرب وفي هــول المجازر
عندمـــا ترتخص الانفس فــي   ساحة يبعـد عنها كـل عاهــر
عندما يفـدي شهيــد ارضـه   بالدم القاني يروي الارض ، فائر
حـين نستأصـل مـن اعماقنـا   جبن اجيـال مـن الذل قواهر
يوم تغـدو كـل بنت خولـة   بلباس الحرب تزهو ، لا الضفائر
يــوم تمسي كــل أم نقمـة   نبـأ الثكل لديهـا كالبشائـر
حين يغـدو المـوت أبهـى مطلب   الفتى ، يسعى الـى أبهى المصائر
حينمـــا تعلـو لــدى أمتنـا   قـوة الخلق علـى كـل المفاخـر
حين يغـدو قولنـا عـن فعلنـا   صورة صادقـة لا هــذر هاذر
عندمـــا تسمـو بنـا غاياتنا   عن صغيرات الامانـي والمظاهـر
عنـد هـذا تذعـن الدنيا لنــا   ويصيخ الكون سمعا وهو صاغر
زغردي ، يـا أم ، هيـا رددي   أعذب الالحان من أغلى الحناجـر
زغردي لـي : كـل عرس تافـه   غـيـر عرس زف للعلياء ثائــر

دمشق   سعيد أبو الحسن

وهرعت بها الى مكتب المدير العام . اعتذرت له عما حدث ، ثـم اطلعته على أمر الجزاء ..

ــ انه سيء الخلـق !.. وسوف اعمل على فصله .

أمعن النظر في وجهي الذي بـدا عليه الارتباك ، ثم قال :

ــ احقـا ؟..

ــ اجل .. واني لآسف جـدا . وارجو الا يترك مـا حدث في نفسك أثرا سيئا .

اخرج علبـة التبغ ، واشعـل لفافة ، ثم تمطى بجذعه الى الوراء ، ويبدو انه يجيل فكره فيما حدث ، ثم قال :

ــ لا .. أنا الذي اخطأت !.

ــ العفو يا بيه .

واهتزت ورقـة الجزاء في يـد المدير العام الذي ثبت عينيه على سطورها بعض الـوقت ، ثـم اذا بالورقة تتكور في قبضة يده القوية ، ثم يلقي بها في سلة المهملات .

واسقط في يدي الموقف . ولـم اتمالك نفسي ، فهرعت الـى ادارة شؤون الافـراد ، وسحبت ورقـة الجزاء ، ممزقا اياها ، مستغفـرا الله عن الخطأ الـذي كـدت أتردى فيـه !.

القاهرة   حسني سيد لبيب



الدكتور محمد رجب البيومي

غني يتكفف

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

من لي بقلم الجاحظ ؟! انك لتقرأ ما كتبه عـن البخـلاء متمتعا بوصف ظواهرهم الحسية ، وخلجاتهم النفسية ، وهواجسهم التي تدق وتنأى فما يقدر على اصطيادها في مراميها النائية غير صاحب البيان والتبيين ، انك لتقـرأ ما كتبه عن البخلاء . ثم تترك الكتاب فتجـد اصحاب الجاحظ عن يمينك وعـن شمالك في الطريق ، تراهـم يسيرون معك وتسمعهم يتحدثون اليك ، فهل نشر سهل بن هارون والكندي وابن المؤمل والحارثي مـن جديد ؟ ، او ان الناس هم الناس في كل زمان ، ومـن نراهم الآن بيننا من نظراء السابقين لم يجدوا كاتبا كالجاحظ ، ينقل غرائبهم ، ويبث عجائبهم ! وانـى ، والرجل معجز فـي تصويره وتأويله ، وويل لمن يعارضه في مذهبه ، فتشيل كفته لدى الموازنة والتفضيل !

لقد ذكر الجاحظ في بخلائه انه لا يلم بحديث الذين بخلوا عن فقر وفاقة فاولئك ذوو اعـذار بادية للعيان ، ولكنه سيتحدث عمن بخلوا عن سعة وثراء ، ثـم اشتطوا في البخل حيث صاروا مضرب الامثـال ، وواللـه لقـد انصف الرجل حين ترك اولئك ومال الى هؤلاء !! وقـد بدا لي اليوم ان اتحدث عن واحد منهم ، اعرفه عرفـان العيان ، وتأتيني غرائبه ونوادره عن المشاهدة تارة ، وعن الرواية تارة اخرى ، فاعلم ان لله شئونا في خلقه ولو شاء لجعل الناس امة واحدة !

في الثلاثينيات من هذا القرن ، هبط الـى قريتي الصغيرة انسان ـ واقول انسان علـى سبيل التجوز ـ يلبس جبة خضراء وعمامة بيضاء وقفطانا يضرب الـى الصفرة غير الفاقعة ، وقد اخذ مظهر العلماء لـدى العامة فهابوه وبجلوه ، ولم لا ؟ اليس له مظهـر العالـم الديني وان يكن بعيدا عن مخبره ! فلم لا يعظم مـن قوم سذج يحترمون العلم والعلماء ، وكـان الرجل حريصا علـى نسبته الى اهل العلم فهـو يؤم الناس حينـا في صلاة الجماعة ، وهو يضع في يـده مسبحة يقلب حباتها بين اصابعه ، ثم هو يجالس اهل العلم في القرية !! على انه مع ذلك كله يشتغل سمسار قطن عنـد رجل يهودي ! فيطوف بمنازل الفلاحين ليرى نوعـا هنـا ونوعا هناك ، ويظل الرجل ثلاثة اشهر مـن العام لا يبـرح القرية ، وطعامه كشرابه كنومه مكفول لدى اهل القرية ، فالرجل ضيف مهما طالت مدة اقامته ومـن حقـه ان ياكل وان يشرب وان ينام .

وكان جميع المتصلين به يتحدثون عن ثرائه، اذ يملك عشرين فدانا في اخصب بقاع مصر ، فهـو سيد قريته اذن ، ولم لا ؟ والعمدة نفسه يستطيع ان يكـون رئيس قريته اذا ملك عشرة مـن الفدادين ، عشرة فقط تعلي كلمته ، وتصون منزلته ، وتجعل بيته مأوى الوجهاء من الغرباء ! واذا كان صاحبنا من الثراء بهذه المنزلة لـدى الريفيين فهو يكرم مرتين ، مرة اولى لانه ضيف ، ومـرة اخرى لانه ثري من الاثرياء ! وقد نزل بقرية لا مطعم فيها ولا فندق ! فاكرامه فرض محتوم .

وكنت غلاما صغيرا اراه يأتي الـى منزلنا ويجالس والدي ، ثم ابصره يدعوني ويأمرني ان اذهب الى دكـان فلان فأحضر علبة مـن السجائر وثمنهـا حينئذ ثلاثة قروش ! ثم يقول ، قل لصاحب الدكان : ان الثمن علـى حساب فلان ـ ويذكر اسم أبـي ـ فامتعض في نفسي اذ اجد الرجل يظل ثلاثـة اشهر دون ان يدفـع في مأكله ومشربه وملبسه مليما ثم يصر على ان يدفع لـه المضيف ثلاثة قروش ! وأجيء الى والدي فأحدثه غاضبا ، فيتجهم في وجهي ، ويصيح بي ، ومالك انت ، هو كريم ، ويرفع التكليف !

ويضطر الرجل الى حلق شعره ، فأجده بعد الانتهاء يسر في أذن الحلاق بأن الاجرة على حساب فلان! والاجرة في الريف منذ اربعين عاما لا تتجـاوز القرش او القرشين عن الراس الواحد ؟ فلم يحرج الرجل نفسه ـ وهو مـن اهل الثراء حقا ـ حين يهمس بكلامه للحلاق في خجـل واستحيـاء .

ثم حان موعد رحيله ، وخرجت الـى المحطة في

● اهدي هذا المقال الى اخي العزيز الاستاذ احمد محمد البيومي حيث يعلم عن الرجل اكثر مما اعلم ، وليته يتحدث .

بعض شأني فوجدت بائع التذاكر يقول لي ، قل لوالدك ان فلانا قد قطع تذكرة من قرية كذا الى قرية كذا وقال ان ثمنها يحصل منك ! فاستشيط غيظا ، واسرع الى والدي مخبرا ، فيسكت ، ثم يقول : الثمن تافه ، ثلاثة قروش ! فأغتاظ في نفسي ، ولكن كيف ارد عليه فيحتد علي !

وفي يوم من الايام فوجئت بالرجل يزورنا في غير موسم القطن ، ويقبل على والدي فيتلقاه بالبشاشة وينزله اكرم منزل ويقضي يومه وليله آمنا هانئا ، ثم اسمعه يقول لابي في اسف مصطنع :

يا فلان : جئتك في امر اخدم به مروءتك واريحيتك، ان خادمنا — وقد سماه — قد اعتدى على عفاف جارة شابة فقيرة تبادله الحب ، وقد وقفت على ذلك بالامس، فرأيت ان اعقد عقدهما وان اقوم بنفقات المنزل الجديد من جيبي ، ويعلم الله ما بذلت في سبيل ذلك كيلا افضح مستورين بين الناس ، وانت تاجر قماش فعليك ان تهيء لهما الحشايا والوسائد والاغطية وما تفعلوا من خير يعلمه الله !

قال والدي : جزاك الله خيرا ، ان الذي يستر مؤمنا في الدنيا يستره الله في الآخرة ، لك ما شئت يا اخي ، ثم نهض فهيأ ما يبلغ مرضاة نفسه ونظر الى صاحبه فوجده يقول في تصنع :

— لقد بقي ثمن النحاس !

فأجاب والدي : سنذهب الى فلان ، فهو من اهل الخير ، وسيعينك على معروفك. ثم نهضا فحضا الى منزل وجيه فاضل ورجعا راضين مغتبطين .

دارت المسرحية بمرأى مني ومسمع ، فتجرات بمكاشفة والدي بارتيابي في أمر هذا الوجيه المتسول ، فثار بي ثورة عارمة وطردني من مجلسه في غير رفق ، ثم ذهب الى والدتي حيث احتميت بها لتقف معي امامه ، فصاح في انفعال : اطفال خبثاء ، وصبية لؤماء ! رجل فاضل يسعى في خير الناس فيتحدث عنه هذا الشيطان وامثاله حديث السفهاء !! انا لله .

ودارت الايام ! طويلة بطيئة ، ثم فاجأنا صديق من اهل قريتنا يتقدم الى والدي وهو يقول دهشا :

لقد كنت بالمدينة أمس ورأيت منظرا عجيبا ، رأيت فلانا صاحبك الذي تأويه يتقدم الي على المقهى ، ويقول انه غريب مريض ، وقد خرج من المستشفى لوقته فتفقد حافظة نقوده فلم يجدها ، وانه يطلب مني ثمن الغداء واجرة القطار فصحت به : الست فلانا ، الذي يجيء الى قريتنا في موسم القطن ، فاصفر وجهه مرتبكا ثم تركني مسرعا وقد طار في سيره حتى ما تلاحقه عيني ! وسأل الصديق والدي عن تفسير ذلك ؟ فنظر المسئول متحيرا دون ان يفوه بالجواب !

كانت هذه واحدة تبعتها اختها حين حضر الى منزلنا صديق آخر يشتغل مفتشا بالسكة الحديدية وهو يسأل والدي في حيرة :

— ما رأيك في فلان ؟

— قال والدي : كل قريتنا تعرفه فهو يعتادها في موسم القطن .

— أغني هو أم فقير ؟

— انه من اعيان قريته ويمتلك من افدنتها الجيدة ما لا يمتلكه العمدة !

— ما يركب القطار مرة ، الا ويدعي ان حافظته قد سقطت ، وانه يطلب الصفح عن ثمن الركوب ! وقد اعفيته مرة ومرة ، حتى بلغ بي الضجر منتهاه ! وقد قيل لي انه يتسول !

فسمعنا ، ولم نتكلم !

واخذت طرائف من هذه الاشباه تتوافد على اسماعنا كل حين ، والناس مذ خلقهم الله لا يسكتون على نقيصة ما ، فقد يرى الآلاف منهم امثلة المروءة ويسكتون عنها لا يتحدثون ، فاذا لمح واحد منهم نقيصة واحدة اجتهد في ابلاغها ما استطاع ، وكل سامع ينقل الى سواه ، فكأن المثالب تستعير لها الف مذياع لتنتشر وتطبق الآفاق ، لذلك اخذت نقائص الرجل تتوالى دراكا ، وقد كان مجددا في تحايله اذ لا يألف طريقا وحيدا ، بل تهديه مواهبه الى طرائف قد تضحك وقد تبكي ولكنها وليدة ذهن يفكر .

جاءنا احد الاصدقاء ، فقال : لقد رأيت عجبا اليوم قلنا : وماذا رأيت ؟ قال رأيت فلانا هذا بمدينة كذا يدور في حلقة السمك كالمسكين ، على وجهه ذلة ، وفي عوده انحناء ، وقد جعل يقف امام كل بائع لحظات ، ويتركه الى غيره ، فوقع في نفسي انه يتوسل بعض السمك ، فتعاظمني ذلك ، ودنوت افحص حتى تحققت ، فاذا الظن يقين ، واذا احد الباعة ينفحه ببعض المرزول من السمك، فيأخذه مسرعا ، فحمدت الله انه لم يرني فيخجل ، ثم توجهت لما أريد طائفا بالشوارع وقد أنسيت أمر صاحبي، ولكني فوجئت به بعد ساعات يعرض ما أخذه من السمك على بعض المارة كي يشتروه بثمن ما ، فأدركتني غصة مريرة لهذه الانسانية التي تنحدر وتهبط ، والمال وفير ، والسعادة مواتية لو أبصر صاحبها الطريق !

واذا كانت القلوب تجازي القلوب ، فقد أحس الرجل تلقائيا ان امره قد انكشف فاقل من الالمام بقريتنا بعض الشيء ، وكانت له طريقته التي يلزمها اذا اضطره تطفله للمجيء فهو لا يفاجيء الناس بمقدمه صبحا او ظهرا او عصرا ، بل ينتظر ما بعد الغروب فيطرق باب المنزل في حذر ثم يتسلل اليه مظهرا اشتياقه الكاذب لصاحب المنزل وما به غير ان يأكل وان يشرب وان ينام، حتى اذا اشرقت الشمس وتناول طعام افطاره ، ورأى الضيق في الوجوه ، نوى الرحيل ، وعجيبة العجائب في شأنه ان جبته الخضراء الواحدة لم تتغير منذ لبسها لاكثر

من ثلاثين عاما، فهي هي تزداد في كل يوم نصولا ووحشة، وقد تراكم عليها من الغبار والعرق ما حملها فوق طاقتها، بل ما بدلها من لون الى لون ، والزمن الذي لم يبق على جبته لم يبق على وجهه ، فقد جف ونضب وكثرت الغضون بجبهته على حين غارت وجنتاه وتقصلت شفتاه وكاد ظهره يحدودب « ومن ذا الذي يا عز لا يتغير » .

وقد تغير حديثه عن سابق عهده ، فأخذ يتحدث عن صداقات موهومة عقدها مع اعيان الاقليم من شيوخ ونواب حيث يتهافتون على مودته ويحرصون على زيارته، فأمثال ابراهيم الطاهري ، وبرهان نور ، وحامد العلايلي، وعبد الجليل أبي سمرة يحبونه ويبجلونه ، وله في حديثه عن هؤلاء طرائف تضحك بتناقضها المذهل ، ولو ادرك الحق لعلم أن هؤلاء نفر مثله لا يزيدون ولا ينقصون ، والتباهي بمودتهم مما يشير الى ضعف نفسي وانحدار خلقي ، والصديق لا يود صديقه ليتباهى ويشمخ بجاهه، بل يوده لانه يجد لديه أنس نفسه ، وموضع نجواه ومتنفس شجونه ! فهل فهم الرجل ذلك حين انتقى من الناس من يشاء ليجعلهم اصدقاءه مكرهين !

ان الرواية لم تتم فصولا ، فقد عرض لصاحب الوسائد والحشايا والاغطية التي تبرع بها للزوج الموهوم من قبل ان يزور الرجل فجاة لامر يريده في قريته ، مع زميل مؤنس في الطريق ، فوجدا صاحبهما في مأتم مجاور لمنزله ، ولم يشأ ان ينهض بهما توا الى البيت ، بل جعلهما كبعض من حضروا الى العزاء ، حتى دهشا دهشا بالغا حين وجدا طعام المأتم يقدم لهما ! وهو أمر تحملاه على غيظ كارب ، ثم حان موعد النوم فتوجه بهما الى منزله ليلا ، وفي حجرة النوم راى صاحب الوسائد كل ما اعطاه لصاحبه مكدسا على سريره ، فكأنه ــ جزاه الله ــ دبر لنفسه حين احس حاجة منزله الى الاثاث فاخترع قصة الزوج المذنب ، ولبس مسوح الساعي في طريق الخير ، وطفق يأخذ من هذا فراشا ومن ذلك نحاسا ، ومن غيرهما ما يطفىء شرهه ، ! ولو كان ذا احتياج لعذر ، ولكنه يشتري الافدنة كل عام ويجمع الارض الى الارض ثم يمد يديه في هوان ؟

وجاءت الانباء تعلن ان الرجل قد حج بيت الله الحرام ، فتفاءلت وقلت ، لقد تعب ضميره مما عاين فثار عليه في كهولته لائما مغاضبا ، ثم وجد النجاة في زيارة بيت الله ، اذ يسفك أحر الدموع معلنا توبته النصوح ! وكم غسل البيت من ذنوب ، وكم طهر من نفوس وقد ذهب الشباب مودعا ولم يبق الا ان تتضرع الانفس وترتجى الغفران ، ولكل اجل كتاب .

هكذا قدرت وفكرت ! ولكن الزمن فاجأني بغير ما أملت ، فقد جلست مع صديق لي كان مديرا لاحدى المدارس الثانوية قبل ان يحال الى المعاش ، وشرق بنا الحديث وغرب حتى جاءت نوبة الحديث عن حجة البيت،

يا مبدع الكون

يا مبدع الكون مالي في روائعه
أحار حتى يشوب المتعة السدر
وراء بهجته أو خلف روعته
يبدو الخلود .. وركب الغيب والقدر
في البحر .. في النهر .. في الصحراء .. في جبل
عال .. تجاور فيه الثلج والشجر
وفي الغروب .. ونور الشمس يحتضر
وفي مراقي الدجى اذ يصعد القمر
تهفو الى سرها روحي فتسبح في
متاهة .. ضل فيها الفكر والصبر
النجم .. أضواؤه تنساب من حجب
للبحر .. أعماقه تغلى وتشتجر
للبيد .. تلقى سرابا دون واحتها
والحقل .. ينبت فيه الدود والثمر
فيستحيل كياني .. قطرة سبحت
في لجة ضفتاها .. الامن والخطر
لكن يرد فؤادي عن تشوفه
الى مداه المرجى .. انني بشر
تخف في سبحات الروح أجنحتي
وتهتف الارض من تحتي .. فانحدر

الاسكندرية — ادوار حنا سعد

فأخذ يتحدث عن سروره بالرحلة المؤمنة وبهجته بالزيارة الحبيبة ، ثم أطرق يقول في الم :

لم ينغص علي خواطر هذه الرحلة الطاهرة غير شيخ دنيء ، زعم ان حافظة نقوده سرقت منه فصدقناه وجمعنا له ما عوضه ، ثم شاهدناه بعد ايام يطرق ابوابا اخرى لحجاج آخرين ويتباكى زاعما ما زعم ! هنا لم املك ان دفعت بيدي في صدره واعلنت للناس احتياله ، اذ انه لو كان صادقا لاكتفى بما جمعت له من مبلغ قدره هو بنفسه ، فصدقناه وأعطيناه !

قلت ومن أي الاماكن هو ؟ وما اسمه ؟ قال فلان من قرية كذا في محافظة كذا ! واذا هو صاحبنا الذي نتحدث عنه ، واذا حديث التوبة كان محض توهم وزيف خيال ! فالشيخ لا يترك عاداته حتى يوارى كما قال ابن عبد القدوس .

كلية اللغة العربية ــ الرياض — محمد رجب البيومي



محمد عبد الغني حسن

ابيات « ولست ابالي »

أهي للشيخ محمد عبده ام لغيره ؟

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

في الجزء الاول من « تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده » للسيد محمد رشيد رضا حكاية الابيات الميمية المشهورة التي ذكر الشيخ رشيد رضا انهـا مما نظمه الاستاذ الامام في مرض موته ، وقد نشرها المؤلف بعد ان قدم لها بالمقدمة التالية :

« لما مرض الاستاذ الامام مرضه الاخير كنت اعوده بداره في عين شمس كل يوم ، واقرأ عليه ما كتبه الشيخ عبد الكريم من رسالة « اعمال مجلس ادارة الازهر » فيصحح فيها ، ويزيد او ينقص منها . وقد املى علي تقريره عن امتحان مدرسة دار العلوم ، وهو في سريره فكتبته . ولما سافر الى الاسكندرية سافرت معه ، وكنت اقيم عنده اياما واعود الى القاهرة فانظر في اعمال ادارة المنار ، ثم اعود الى الاسكندرية دواليك . ولما اشتد عليه المرض اذيع وانا في مصر انه توفي ، فكدت اقضي من الغم ، وبت تلك الليلة بعد تكذيب الخبر ، ولما استيقظت وجدت على مخدتي دما قد خرج من فمي ، وانا نائم . وفي الصباح عدت الى الاسكندرية ، فلما قابلته قال لي : قد جاش في نفسي الشعر في غيبتك ؟ كأنني لا اقول الشعر الا في الحبس او المرض ــ يشير الى القصيدة التي نظمها في السجن في عاقبة الحوادث العرابية ، وقد تقدمت « صفحة ١٥٠ » ، وانشد في هذه الابيات فكتبتها عنه واحدا بعد واحد ، وهي :

ولست أبالي ان يقال : محمد   أبل أم اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين اردت صلاحه   احاذر ان تقضي عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها   أذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيا رب ان قدرت رجعى قريبة   الى عالم الارواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا   رشيدا يضيء النهج والليل قاتم
يماثلني نطقا ، وعلما ، وحكمة   ويشبه مني السيف والسيف صارم

ونشرت الجرائد في خبر وفاته الخمسة الاولى ، وضبطت الثاني هكذا :

ولكن دينا قد اردت صلاحه   احاذر ان تقضي عليه العمائم

وقال لي بعد كتابتها انه خطر في باله ابيات اخرى فكتبتها عنه ، ورأيته قد ترك فيها الف التأسيس في كلمة القافية كأنه اذهله عنه الالم ، ولم انشر منها في النادر الا هذا البيت الذي نشرته احدى الجرائد الاسبوعية ايضا ، وهو قوله في صفة المرشد الرشيد :

ويخرج وحي الله للناس عاريا   عن الرأي والتأويل يهدى ويلهم

هذه هي حكاية الابيات الميمية كما ذكرها الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الذي اصدره في طبعته الاولى سنة ١٩٣١ .

ولقد كنت حريصا كل الحرص على ان اجد عند الذين ترجموا للشيخ محمد عبده تناولا بالرأي والدراسة والتعليق لهذه الابيات ، وخاصة ان فيها تبشيرا بخلافة الشيخ رشيد رضا للاستاذ الامام ، كما ان فيها ــ او في بيتها الملحق ــ خروجا على القافية المؤسسة ، وهو مما لا يقع من مثل الاستاذ الامام ، على الرغم من شكوكنا في نظمه للشعر حتى مع الزعم بأنه نظم في اعقاب الثورة العرابية قصيدة جاش بها خاطره وهو سجين ...

والتمست عند صديقنا المفكر الدكتور عثمان امين استاذ الفلسفة السابق بجامعة القاهرة ، رأيا في الموضوع ، فوجدته تحاشى الحديث عنه في كتابه « محمد عبده » الذي صدر في مجموعة « اعلام الاسلام » سنة ١٩٤٤ ، وفي كتابه الاخر « رائد الفكر المصري » الذي صدر سنة ١٩٥٥ . والتمست ان اجد عند المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق ــ تلميذ الشيخ محمد عبده ــ تناولا لهذا الموضوع في كتابه : « محمد عبده » الذي صدر عن دار المعارف سنة ١٩٤٦ ، فلم اظفر بطائل ... الى ان جاء اخي وصديقي الدكتور احمد الشرباصي في كتابه « رشيد رضا : صاحب المنار » الذي صدر عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية سنة ١٩٧٠ ، فلم يفته ــ كعادته في البحث والتنقير والتقصي ــ ان يذكر هذه الابيات الميمية وان يذكر قصتها كاملة من كتاب السيد رشيد رضا ــ كما ذكرتها هنا ــ وان يعلق عليها تعليقات ذكية واعية،

وان يسأل فيها الدكتور طه حسين الذي اجاب قائلا في تصميم وقطع كنتاود ان يساندهما التمحيص والتحقيق: « ان هذه الابيات قد شككتني في الشيخ رشيد . وهو الذي صنعها قطعا . ولا اعرف ان الاستاذ الامام قد صنع شعرا ... »

وللدكتور طه حسين ان يتشكك في الشيخ رشيد وروايته ، ولكن ليس له ان يجزم - على سبيل القطع - بأن رشيد رضا هو الذي صنعها . فقد يكون لها صانع آخر كما سيتضح من تحقيقنا الذي اعانتنا عليه بعض الظروف ...

لقد قيلت هذه الابيات قبيل سنة ١٨٧٧ بقليل ، وهي السنة التي توفي فيها ببلاد المغرب الاديب الشاعر ابو عبد الله محمد بن احمد اكنسوس - او كنسوس - المراكشي الذي كان شاعرا لامعا في بلاده ، وكان على خير الصلات مع رجال الحكم والادارة في المغرب . وهو صاحب هذه الابيات الميمية التي قالها قبيل وفاته آسفا على ما وصلت اليه حال المسلمين وزعمائهم وشيوخهم في ذلك الزمان .

ومن الغريب ان الابيات الخمسة الاولى كما نسبها الشيخ رشيد رضا للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده هي كما رويت عن الشاعر ابي عبد الله محمد بن احمد اكنسوس المراكشي بيتا بيتا .. اما البيت السادس فلا اعلم من أيد فاتاته ولا كيف جلبه الشيخ رشيد رضا ... اما البيت السابع الذي فيه عيب الخروج على قافية الالف المؤسسة ، والذي نصه كما رواه الشيخ رشيد :

ويخرج وحي الله للناس عاريا   عن الرأي والتأويل يهدي ويلهم

فلم اعلم قائله ، وقد يكون السيد رشيد رضا ادرى بقائله الحقيقي ...!

وللاب لويس شيخو اليسوعي فضل هدايتنا الى قائل تلك الابيات الميمية ، ففي سنة ١٩١٠ نشر « بالمشرق » سلسلة من المقالات والدراسات عن بعض الشعراء والادباء في العالم العربي والشمال الافريقي والمغرب ، وكان الشاعر الاديب ابو عبد الله محمد بن اكنسوس المراكشي احد هؤلاء الذين تناولهم الاب شيخو بالترجمة . وفي خلال ترجمته لهذا الشاعر المغربي اورد بعض شعره ، ومنه هذه الابيات الميمية التي زعم الشيخ رشيد رضا ان الشيخ محمد عبده نظمها وهو على سرير مرضه الاخير .

ولعل الامر اختلط على الشيخ رشيد وهو امام الامام في مرضه الاخير فسمع الابيات من فم الشيخ محمد عبده يرويها مستشهدا ، فظن انها من منظوم الاستاذ الامام لا من محفوظه . وتكون عبارة الاستاذ الامام التي قالها للشيخ رضا : « كأنني لا اقول الشعر الا في الحبس او المرض » يراد بها : « كأنني لا انشد الشعر ... الخ » فقول الشعر هنا ليس على سبيل النظم بل على سبيل الانشاد .

وبهذا نخلص من المشكلة التي واجهتنا ونحن نقرأ هذه الابيات للشاعر كنسوس المراكشي الذي توفي والشيخ محمد عبده في سن الثامنة والعشرين .

انا واثق بأن اخي العالم المحقق الدكتور احمد الشرباصي سيفرح بكشفي اللثام عن قائل الابيات التي اولها : « ولست ابالي ان يقال محمد .. » ، فلا هو الشيخ محمد عبده كما زعم الشيخ رشيد او توهم ، ولا هو الشيخ رشيد رضا كما ادعى الدكتور طه حسين بدون سند من حق ، او دعامة من تاريخ ...

وسيفرح كذلك الوف من القراء الكرام الذين قر في اذهانهم ان ابيات : « ولست ابالي » هي للشيخ محمد عبده وليست لسواه ...

على ان الكلام في خليفة الاستاذ الامام محمد عبده، وهل هو الشيخ مصطفى عبد الرازق - كما يشتهي الدكتور طه حسين ، أم السيد رشيد رضا كما يستظهر الدكتور احمد زكي ابو شادي ، وصديقنا العلامة المرحوم الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، أم الاستاذ الكبير احمد لطفي السيد كما يرى صديقنا الدكتور عثمان امين - اقول ان الكلام في هذه المسألة « الخلافية » الطريفة سيجد فيها القراء والباحثون زادا شهيا ممتعا فيما كتبه الدكتور احمد الشرباصي في كتابه « رشيد رضا صاحب المنار » ...

القاهرة   محمد عبد الغني حسن

خماسيات شعرية

أحسن بصاحبك الظنون وان يكن
يحصي عليك توافه الاخطاء
وانظر اليه - اذا دعته نفسه
للنيل منك - بمقلة عمياء
الحلم من نعم السماء ... ولا تخف
شتان بين مسامح ومراء
كم ريبة قطعت عهود صداقة
ثبتت على السراء والضراء
ولكم جعلت بحسن ظنك صاحبا
من كنت تحسبه من الاعداء

بوانس ايريس   زكي قنصل


ايليا حليم حنا

السعادة كما يراها بعض أدبائنا

بقلم ايليا حليم حنا

***

السعادة أمر اختلفت فيه الاقوال ... وكل يحددها حسب ما يتوق الى تحقيقه او ما ينقصه، وحسب تأملاته وثقافته ووضعه في المجتمع الذي يعيش فيه ، ويقول سلامة موسى في ذلك « كلمة السعادة من الكلمات التي يختلف كثيرون في معناها ، فهي عند البعض ثراء يغني عن الكد ، وعند آخرين قناعة تغني عن الثراء والكد معا ، وعند فريق ثالث شهوات لا تنطفىء ... » .

ومفهوم السعادة عند سلامة موسى يختلف عن هذا كله فهو يقول « كيما نسعد في حياتنا يجب ان تتحقق هذه الاهداف الاربعة :

١ – مرتزق نعيش منه بما ننتج للمجتمع .

٢ – كرامة اجتماعية او مقام اجتماعي نحس به اننا محترمون .

٣ – حياة زوجية سليمة .

٤ – تجدد أي تطور .

ويرى سلامه موسى ان أي نقص في هذه الاسس قد يؤدي الى انحرافات خطيرة او خفيفة . فان العاجز عن الارتزاق قد يسرق ويأثم ، واحيانا نجد من ينتحرون لان كرامتهم الاجتماعية قد اهينت ، وكذلك الحياة الزوجية اذا فسدت فانها تؤدي الى ضروب من الشقاء . والرجل الراكد الذي يرفض التطور يعاني سأما ، ويجد كل شيء ماسخا في الحياة .

ويشرح سلامة موسى أسس السعادة فيقول : « يجب ان نتعلم مهارة خاصة تكون وسيلتنا للعيش الشريف ... وهذه القدرة على الانتاج هي في النهاية وسيلتنا الى الكرامة الاجتماعية ، والكرامة الاجتماعية شيء كبير جدا في سعادتنا .. اننا نحتاج الى ان نحس ان المجتمع يحترمنا واننا غير محتقرين ، واحساسنا بالكرامة الاجتماعية يقينا من الانحلال والشطط بل من الشذوذ والاجرام » .

ويتناول السعادة الزوجية فيقول : « والحياة الزوجية السليمة هي احد الاركان التي تدعم السعادة لانها تكفل لنا نفسا سليمة من الكظم المؤذي ، كما انها تجعلنا نحس الكرامة الاجتماعية التي تنقصنا ما دمنا في العزوبة ... ويحتاج كل منا الى هذا الحصن المأمون وهو البيت الذي نجد في نظامه العائلي تضامنا لجميع اعضائه وفي رأي ان الاعزب لا يستمتع بحياته ولا يجد لها جذورا تربطه بالدنيا كما يجد المتزوج » ...

ويرى سلامة موسى ان ينشأ الزواج عن حب يسبقه ، كما يرى عدم مساكنة الحماة سواء كانت أم الزوج او الزوجة ... ويرى ان هذه أسس ضرورية للسعادة الزوجية التي هي ركن هام من اركان سعادتنا . غير اني اعترض على ان الزواج الناجح يسبقه الحب ، فكثيرا ما فشلت زيجات كان الحب أساسها وارى ان اسعد الزيجات هي التي تخلق الحب وتنميه .

وينتقل سلامة موسى الى الركن الرابع للسعادة فيقول : « ولكن السعادة تحتاج الى شرط رابع ربما كان اخطرها جميعا وهو ان نتطور ونتجدد بأية صورة ، فقد تكون السياحة تجددا من حيث انها تنقلنا من وسط الى آخر ، فنحس كما لو كنا نعيش عمرا آخر . وقد تكون فنا جديدا نتعلمه ولو كنا في آخر العمر ، لاننا نحس ونحن نمارس هذا الفن الجديد اننا في ارتقاء ، في صعود، واننا نحيا الحياة الحيوية التي لا تعرف الركود » .

ثم ينبهنا سلامة موسى الى اهمية الثقافة وانها تجدد وتطور في حياة الفرد فيقول : وأولئك الذين جعلوا الثقافة عادتهم يحسون هذا الارتقاء المتوالي ، لانهم يجدون في تجدد الموضوعات التي يدرسونها تجددا شخصيا لهم بل هم يتطعمون الحياة التي تمسخ عند غيرهم من الذين لا يدرسون .

ثم ينهي سلامة موسى كلامه عن السعادة باضافة ركن خامس يغفل عنه الكثيرون او يتغافلون عنه وسط التكالب المادي الذي لا يعبأ كثيرا بالقيم الجميلة ، فيقول: « ولكن ربما كان اعظم ما يكفل السعادة ان يندغم الانسان في كفاح انساني للخير والبر والشرف فان هذا الكفاح يكسبه الكرامة التي يتحدث بها اليه ضميره ... » ويقول في ذلك : « حبذا هذا الكفاح نملأ به حياتنا

الفارغة ونندغم به في التيار الانساني للخير ، فاننا حين **نفعل ذلك لا** نبالي ان نحيا على كسرة من الخبز في كوخ من الطين بل لا نسأل عن معنى السعادة لاننا لا نحتاج الى هذا السؤال اذ نحن نؤدي رسالة في الكفاح الانساني لخدمة البشر » .

ونجد ان محور السعادة عند سلامة موسى هو **الكرامة الاجتماعية** فانه يرى ان العمل ركن هام من اركان الكرامة الاجتماعية ، ويرى نفس الشيء في الزواج ، ويرى ان التطور ايضا مدعاة الى نمو الانسان واتساع افقه وهذا ايضا يكسبنا كرامة ، ثم هو يرى ان التضحية في سبيل خير الانسان شيء يعلي من قدر الانسان في مجتمعه وخارج مجتمعه وكلنا يعرف ان « غاندي » **ضحى بكل هنائه وراحته وماله من اجل خير امته فرفعته امته ورفعه العالم** .. وكان سعيدا رغم كل تضحياته وتعبه .

ويخيل الي ان سلامة موسى قد فاته ركن عظيم من **اركان السعادة** كان يجب ان يضيفه الى اركانه هذه **الواضحة** التي لا غموض فيها ، وهو الصحة التي بدونها **لا يشعر الانسان بطعم للحياة كلها** ، ولكن يبدو لي انه **عندما حدد اركان السعادة** التي بيناها كان يفترض ان الاغلبية الساحقة تتمتع بقدر من الصحة ولهم حدد اركان السعادة كما يراها .

قد لا تسعد العناصر الاربعة الاولى الانسان ويشقى رغم توافرها فهناك منغصات كثيرة لا دخل للانسان في وقوعها ولا صلة لها بالاسس التي ذكرها سلامة موسى ، **وقد عرف سلامة موسى هذا** ، وفطن له فلم ينس صمام **الامان في** ركنه الاخير وهو التضحية والكفاح الانساني للبر والخير والشرف فان الانسان في امكانه ان يحول كل **منغصاته التي** لا علاج لها الى طاقة جبارة تعينه على القيام بعمل انساني نبيل وعندئذ يسمو فوق المنغصات ويشعر بالسعادة بمحاولته اسعاد الغير .

ويبدو ان العمد التي اقام عليها سلامة موسى صرح السعادة تختلف عن مفهوم توفيق الحكيم ، وان كان يتفق **معه في النهاية** ، فالسعادة كما يراها توفيق الحكيم لا يمكن ان تكون شيئا مستديما ثابتا يتحقق بتحقق الاهداف التي نسعى اليها .

ولكي يوضح لنا توفيق الحكيم رأيه في السعادة تصور فكرة خيالية وهي ان البشر ضجوا على هذه الارض وصاحوا طالبين السعادة ... وقد انقسموا فريقين .. فريق يراها في العدالة الاجتماعية والمساواة الانسانية وفريق يراها في الثراء الفردي والانتاج الواسع **واشتد الخلاف بين الفريقين ، وايقن كلٌ منهما ان الفريق** الآخر هو الذي يحول بينه وبين السعادة التي يحلم بها البشر ... فأخذا يهيئان معدات الحرب غير حافلين بتدمير الارض في سبيل الهدف ، وعلا صخبهما حتى بلغ **السماء** .. فقالت الملائكة : سيدمرون الارض من أجل **السعادة** ، ونزل عليهم صوت من عليين : « **اعطوهم ما يريدون** » .

وعندئذ حدثت في الارض معجزة ، فقد انقلبت الصحارى جنات واسعة ، جارية الانهار ، دانية القطوف ، شهية الثمار . وزالت الفوارق بين الناس فاذا كل فرد غني ثري ، ولم يعد هناك ظالم ولا مظلوم ، ولا سليم ولا سقيم ، فالجميع في صحة ورفاهية وسلامة وعافية ... والمستوى الاجتماعي والعقلي والروحي مرتفع للجميع . الكل سادة ، والكل أحرار . انه العالم المثالي الذي ينشده الفلاسفة والحكماء . وهذه اعلى مراتب السعادة واكملها كما يراها كل انسان ... ولكن هل تسعد هذه السعادة البشر لو انها تحققت ؟! هل يعيش الناس في سلام داخلي وقناعة ورضا ؟! هل يفارق البشر قلقهم ؟!

يقول توفيق الحكيم « لن يسعد الانسان لو تحققت **كل اهدافه** ومشتهياته ... انه عندئذ يشعر انه في ركود ... انه يمل الحياة ان لم يجد هدفا يجد ويشقى في تحقيقه وكله امل ان يحققه بالمثابرة والتعب . ان الكفاح الذي يغذيه الامل هو الطريق الوحيد الذي يجعل الانسان يتخيل انه سيسعد وعندئذ يحسن انه حي ويشعر بنبضات الحياة التي يحملها الامل » .

والآن لندع توفيق الحكيم يكمل لنا قصته الخيالية فيقول : « ومرت على الناس لحظة شملهم فيها العجب والذهول وجعلوا ينظرون الى حياتهم الجديدة وكأنهم لا يصدقون . كل شيء في متناول ايديهم ... الرزق موفور ، والصحة دائمة ، والحرية قائمة ... ما من مطلب اذن يسعون اليه ... وما من أمر يشكون منه ... انها السعادة .. نعم هي السعادة ، وهكذا غرقوا لحظة في سعادتهم فرحين مهللين الى ان استيقظوا بعد حين وهم يقولون : وبعد ؟!! وقعدوا يتأملون حالهم قائلين : وبعد ؟! الا يوجد غد ؟ وما قيمة الغد اذا لم يحدث فيه شيء ؟!

ما هو الشيء الذي يجب ان يحدث ؟ كل شيء قد حدث الحرية .. الثروة .. الصحة .

ثاروا لانه لا يوجد غد ... لا يوجد امل .. لا يوجد كفاح . لا يوجد عمل » !

والحقيقة ان توفيق الحكيم محق فيما رأى .. فان انسانا بدون غد لا يمكن ان يكون من الاحياء .. الانسان بدون أمل لا يمكن ان يحس بالسعادة .. الانسان بدون كفاح لا يمكن ان يجد للحياة طعما . اننا نسعد لاننا نتألم ونأمل ان نتخلص من آلامنا .. اننا نتخيل السعادة ونحن نكافح .. اننا نسير ونتحرك ونشعر بالحياة ونحن نصارعها والا فانه لا فارق بيننا وبين سكان القبور .

ويكمل لنا توفيق الحكيم فكرته الخيالية البارعة ، فيقول : « وقد أحسوا بعض الراحة الخفية وهم يثورون هذه الثورة .. لقد وجدوا اخيرا منذ ان ابتلوا (بالسعادة)

شيئا فشيئا يشكون منه .. لقد عرفوا حلاوة الشكوى مرة اخرى .. نعم لقد ادركوا انهم سجناء .. سجناء سعادتهم .. انهم خلقوا ليكون لهم غد يعطيهم شيئا هو ثمرة عمل اليوم .. غد في نظرهم هو رمز التقدم ولكنهم لا يتقدمون لان كل تقدم قد تم .. أي ان كل شيء قد وقف .. وما دام كل شيء قد وقف فهو اذن الموت .. هم اذن اموات ، هادئون في قبور سعادتهم .. أترى السماء قد اعطتهم (الموت) بدلا من (السعادة) ؟ او ان هذه السعادة الكاملة هي نوع من الموت ؟ وهنا رفعوا رؤوسهم الى السماء صائحين :

أيتها السماء ! رحمة بنا ولطفا .. ارفعي عنا هذه السعادة . فسمعوا صوتا يأتي من عليين : تريدون الفقر ؟

فقالوا جميعا : نعم ، لنكدح من أجل الغنى .

فقال الصوت : تريدون المرض ؟

فقالوا جميعا : نعم ، لنقاوم من أجل الصحة .

فقال الصوت : تريدون العبودية ؟

فقالوا جميعا : نعم ، لنكافح من أجل الحرية .

فقال الصوت : واذا عدتم الى الشكوى ؟

فقالوا اجمعين : سنعود الى الشكوى .. لاننا بها نطلب ونأمل ونعمل ... وبالطلب والامل والعمل نسير ونتقدم ونتطور ... وبالسير والتقدم والتطور يكون لنا أمس ويوم وغد .. وبالامس واليوم والغد نعيش ... **نعيش ... نعيش** .

فقال الصوت : والسعادة ؟

فقالوا جميعا : هي شيء يأتينا من داخل انفسنا لا من الخارج » .

وقصة الحكيم هذه تجعلنا ندرك حكمة الخالق ، فانه لو سعد البشر سعادة كاملة لتحولت سعادتهم هذه الى شقاء مقيم ، وملل ..! وتوفيق الحكيم يقول لنا ان السعادة شيء نسبي يختلف من شخص الى آخر وانها تنبع من داخلنا .. فقد يتحقق لنا كل ما نظن انه يسعدنا فيواجهنا شيء لم يكن في الحسبان يسبب شقاءنا .

واسس السعادة كما يراها توفيق الحكيم والتي بينها في قصته التوضيحية هي : **العمل ، والكفاح ، والامل ، والتقدم ، والتطور** . وهو في هذا يلتقي مع سلامة موسى غير ان توفيق الحكيم عالج فكرته كفنان وعالجها سلامة موسى كمصلح اجتماعي .

والسعادة كما يراها **عباس محمود العقاد** شيء رائع لا يستند على أساس مادي .. يرى اديبنا العملاق ان المثل العليا هي طريقنا الى السعادة .. والعقاد بهذا يرى انه لا سعادة في عالم لا يعتنق من فيه القيم الطيبة ... اذن فهو يدعو الى عالم فاضل لكي **يسعد البشر جميعا** . والدعوة الى مثل هذا العالم الفاضل دعوة قديمة سبقه اليها كثير من الفلاسفة والمفكرين ، ومرت آلاف السنين على مثل هذه الدعوة الفاضلة والعالم هو هو ، ما زال به الشر ، وما زال به ناس اشرار ...

وليس معنى هذا ان العقاد يدعو الى سعادة مستحيلة ، ان السعادة التي يدعو اليها العقاد قريبة المنال اذا ارادها صاحبها مخلصا .. وعتق نفسه من عبودية المادة . والعقاد يرى انه **لكي نكون سعداء يجب ان يصل حبنا للمثل العليا الى منزلة العشق والعقيدة** ، والعاشق يستعذب الآلام ويسعد بها ، ويتحرر من كل القيود ويهيم في عالمه الذي يخلقه له عشقه ، ويقول العقاد في ذلك : « الناس في كل عصر يسمعون عن صرعى العشق الذين يموتون في سبيل مطلب محبوب .. والناس في كل عصر يسمعون عن الشهداء الذين لا يبالون بالعذاب ويحسبون أنفسهم أسعد ممن يعذبونهم » .

والعقاد هنا يرى السعادة من زاوية اخرى تختلف عن رؤية كل من سلامة موسى والحكيم فهو يرى السعادة في شيء واحد فقط **انه يرى ان يعيش كل منا في عالمه** الفاضل عالم المثل الطيبة التي يعتنقها غير عابىء بالمتاعب **التي يسببها له تنافر عالمه الطيب** (عالم المثل والذات الفضلى) مع العالم المادي الذي يعيش فيه .. !! انه يعرف ان هذا يجلب لصاحبه كثيرا من المتاعب في عصرنا المادي ولكنه يريد ان يسمو الانسان بنفسه وفي هذا السمو السعادة كل السعادة .

ونرى من هذا ان **العقاد لا يرى ان من أسس** السعادة ان يكون الانسان الفاضل على توافق مع الناس ما داموا لا يعتنقون القيم الخيرة الطيبة ، القيم الانسانية النبيلة ، بل يرى ان يسمو بنفسه ويكافح من اجل كل ما هو طيب وخير ، يكافح ضد النفاق والبغضاء والتشاحن والكراهية والحقد والتعصب والاساليب الوصولية الدنيئة .. انه يرى السعادة في عدم الانتماء الى مجتمع شرير .. **السعادة عند العقاد ان يكون الانسان كريم النفس** . والتمسك بالكرامة اسمى شيء في حياة العقاد وهي عنده مصدر السعادة بل هي السعادة كلها . اسمعه يقول : « لقد فتشت عن مثل اعلى يحقق لصاحبه السعادة كما تحققها له الكرامة فلم أجد . فان قلت انه هو المجد او الغنى او الجاه ، فلا مجد ولا غنى ولا جاه بغير كرامة . وان قلت انه الصبر فالصبر على المهانة لا يسعد صاحبه ، وان قلت انه عمل الخير ، **فما الخير الذي يأتي من حقير لا يستحق كرامة نفسه فضلا عن كرامة سواه ؟!** »

والسعادة عند العقاد ليست غنما ماديا وليست جاها او مركزا ولكنها مثل عليا يعتنقها الانسان ولا يتخلى عنها ويكافح من أجل نصرتها وفي هذا كل السعادة . **وهذا يبدو واضحا في حياة العقاد فقد** كان يعتنق ما يدعو اليه ويطبقه على نفسه ، **نرى هذا في صلابة العقاد ، واعتداده** بذاته وبرأيه ، وصراحته ، وجرأته وخصوماته وعدم

يا نجمة في الاعالي

الى ن في الضفة الثانية

★

مضيت شعاعـا وراء المغيـب	وخلفتني للدجـى والحنـين
أجوب الدروب كظـل شريـد	تطاردني عاصفات الشجون
أناديك : ـ لا شيء غير الصدى	وغير السكون ـ متى ترجعين
فألمح عينيك في كـل نجم بعيد ، وفـي ساهمـات الفصـون
وطيف ابتساماتـك الغامضات ، وصوتـك ، والليـل ، والعابريـن
أهـذي النهايـة ؟ يـا للسراب	ويـا لانتظاري مجيـىء السنين

مضيت وذكـراك لمـا تـزل	وميضا يـرف علـى الظلمـات
ربيعا غـوي الازاهير يطفو علـى	قفـر أيامـي الموحشـات
أظـل علـى أفقـه ذاهـلا	أراقـب أضـواءه الذابلات
فيفجؤني حاضـر كالصخـور	ثقيل ، وطيـف رؤى غائمـات
ووعـد يطـوف عبـر الزمـان	علـى جانبيـه اكتئـاب الممات
فيا انت ، يـا نجمـة في الاعالي	لقانـا هنالك فـي اللاحيـاة

دمشق	رضوان عقل

اهتمامه بما يغضب الغير ان كانوا ليسوا علـى حـق .. مضحيا في كل ذلك بكل ما يراه غيره اهم اركان السعادة . اسمعه يقول في ذلك : « ليس اقرب الى السعادة من المثل الاعلى الذي يسعدك كاسبا وخاسرا ، ناجحـا ومخفقا ، غالبا ومغلوبا في كل معركة يهمك ان تخوضها » .

ويلتقي العقاد مع توفيق الحكيـم عندمـا يقـول « الحياة التي فيها السعادة غير الحياة السعيدة من اولها الى آخرها ، فهذه وهم من الاوهام لا وجود له في عالـم الواقع ولعلها لو وجدت لملها اصحابها وتمنوا لـو يشوبها خليط من الشقاء في بعض اوقاتها ، لان السعادة التـي تلازم الانسان في كل لحظة مـن لحظات عمـره فضول لا يطاق ... فاذا بحثنا عـن حياة سعيدة فقـد ضيعنا الجهد ، واذا بحثنا عن حياة فيها سعادة هنا وهناك فقد وجدت هذه السعادة كثيرا على هذه الارض ، واحسبهـا لم توجد على أحسنها ، وأصفاها ، واغلاها الا مع مثل من الامثلة العليا على اختلاف هذه الامثلة في نظر الناس . اما مثلي الاعلى الذي أحب السعادة لاجله فهـو اشتات مـن الصفات والمطالب تجمعها كلمـة واحـدة وهـي كلمـة الكرامة » .

والكرامة عند العقاد هي كـل شيء وعند سلامة موسى ركن من أركان السعادة ويرى العقاد ان المثل العليا هي التي تحقق السعادة وتحقيق المثل الاعلى عنـد العقاد سعادة ، مهما تكن النتائج ، مهما تكـن الخسائـر المادية والصحية ويرى ان السعيد المثالي هو مـن يعرض نفسه للاخطار والاهوال في سبيل تحقيق المثل الطيبة والكرامة هي المثل الاعلى الذي يسعدنا حين نخسر ، كما يسعدنـا حينما نغنم ونظفر .. لاننا نفقد ما نفقده على علم بفقدانه بل نحن نختار الفقدان ونفضله على الغنم والظفر ، ونؤمن بأننا ضيعنا شيئا من اجل شيء آخـر حفظناه وابقيناه ، وهو اعز علينا واجدر بالصيانة مما ضيعناه .

ان السعادة التي يراها العقاد سعادة صوفية عمدها الحق والخير والجمال ، ودحـر الشر وازدراء الوصولية الدنيئة والاعتزاز بالكرامة التي قال عنها : « تجتمع المثل العليا كلها في الكرامة ، ولقد فتشت عن مثل اعلى يحقق لصاحبه السعادة كما تحققها له الكرامة فلم أجد » .

هذه هي السعادة كما يراها بعض ادبائنا، ترى كيف تراها أنت ايها القارىء العزيز ؟

القاهرة	ايليا حليم حنا

الدكتور بشر فارس

بقلم سمير وهبي

* * *

منذ عشر سنوات طوى الموت واحدا من افاضل الادباء الذين رفعوا لواء العربية عاليا . ففي يوم ٢١ فبراير من عام ١٩٦٣ توفي بشر فارس عن سبعة وخمسين عاما . ولم يكن بشر من الادباء فحسب ، وانما كان من الباحثين الذين ضربوا بسهم وافر في الدراسات الادبية ، فضلا عن التنقيب في التراث القديم . وقد عاونه في ذلك استعداد فطري ونظرة جادة الى الفنون الادبية .

مع التراث : ومن الدراسات القيمة التي خلفها الفقيد كتابه المسمى « مباحث عربية » المنشور في عام ١٩٣٩ وقد احتوى على مجموعة من الدراسات والتحقيقات ، نذكر منها على سبيل المثال : « المروءة » وهو البحث الذي كتبه اصلا باللغة الفرنسية ونشر مختصرا في ملحق دائرة المعارف الاسلامية . وتاريخ كلمة « شرف » ، ودراسة عن البناء الاجتماعي عند عرب الجاهلية . هذا فضلا عن رسالة الدكتوراه التي قدمها في السوربون (١٩٣٢) وموضوعها « العرض عند عرب الجاهلية » . وهناك دراسة قيمة اخرى كانت آخر ما نشر له ونقصد بها كتابه المسمى « سوانح مسيحية وملامح اسلامية » وهو بحث نشر اصلا بالفرنسية في مجلة المجمع العلمي المصري ، مع تلخيص واف له بالعربية . والدراسة تتناول النقوش الموجودة في الصفحة الاولى في بعض المخطوطات لكتاب « الاغاني » التي يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر الميلادي .

في الادب الرمزي : ولننتقل الآن الى مؤلفاته الادبية وهي كبيرة الشأن وان كانت قليلة العدد . اولها المسرحية الرمزية « مفرق طريق » (مكتبة النهضة ديسمبر ١٩٣٧) ، ثم مجموعة قصص عنوانها « سوء تفاهم » (دار المعارف — فبراير ١٩٤٢) ، واخيرا « جبهة الغيب » (مجلة شعر ببيروت — ١٩٦٠) هذا الى جانب مقطوعات شعرية ونثرية رقيقة نشرتها له المجلات الادبية .

ولعل أهم انتاج ادبي له هو مسرحيته الاخيرة « جبهة الغيب » ويطلق عليها اسم « احدوثة شرقية مكونة من خمس مراحل » ، وهي كمسرحيته الاولى موغلة في الرمز . وفي مقدمة ضافية ساقها المؤلف على صورة « بيان » عبر عن آرائه في المسرح . وقد اطلق على مقدمته هذه عنوانا متواضعا هو « همسة » ، ربما لا تتناسب مع عمق التجربة وأصالتها .

والمسرحية في حد ذاتها ليست جديدة ، لان لها اصلا في قصته المسماة « رجل » التي سبق ان نشرها في مجلة « المقتطف » (الجزء ٢ : المجلد ١٠٠) وضمها بعد ذلك الى مجموعته « سوء تفاهم » . وهي ككل القصص الباقية تصور كفاح الانسان الذي يحاول قهر المجهول والارتفاع بقدره .

ولكنه كجميع « الابطال » يضطر الى مقاومة الذين تحالفوا على هزيمته . فالقيم التي يجاهد من اجلها لا تتفق مطلقا مع اهوائهم ومصالحهم ، فيموت .

ولا يخفى الطابع الرمزي الذي تتسم به تمثيلية « جبهة الغيب » . هنا وهناك اشارات تكشف عن رموز ذات مغزى عميق . اسم الراقصة مثلا هو « زينة » . وهذا الاسم ، كما هو واضح ، يرمز الى تألق الالوان الخارجية ، اي الامر الذي يشغل الانسان عن الوصول الى الجوهر ، او الى الكنز المختبىء (صفحة ٥٢) . واسم الحبيبة « هناء » يرمز الى اكتمال السعادة .. اسم البطل نفسه ، « فدا » رمز التضحية عن طريق الاخلاص التام للموت .

اما « مفرق الطريق » وهي ايضا مسرفة في الرمزية ، فتدور حوادثها بين اشخاص ثلاثة هم : سميرة ، وهي امرأة في السابعة والعشرين ، ثم شخص يرمز اليه بلفظة (هو) واخيرا الشخص الثالث وهو الابله .

هنا ايضا يربط بشر فارس « استنباط ما وراء الحس وابراز المضمر وتدوين اللوامع والبواده ، باهمال العالم المتناسق المتواضع عليه .. عالم الوجدان المشرق والنشاط الكامن والجماد المتأهب للتحرك .. »

رأيه في القصة : نحن اذن ازاء كاتب في رأيه ان القصة ليست للتسلية . فالقصة عنده يجب ان تثير القارىء ، كما صرح مرة لمجلة « المكشوف » البيروتية (العدد ٣٣٢ الصادر في اكتوبر ١٩٤١) . قال انه لا يكتب لمن يريد ان يقرأ على سبيل التسلية العابرة او ساعة يعصيه النعاس ، او يكتب لمن يحب ان يشاركه فنه ولا يخشى ان يعمل فكره .

ورأيه ايضا ان القصة لا تحتاج الى حبكة . بل يجب ان تكون جسات في لوح الحياة الجارية . واذا كان على القصصي ان يكون انسانا قبل اي شيء ، فمن حقه ان يعطف على البشرية المتألمة وان يغمز بعيوب المدنية . كل ذلك في دوران ادبي فني .. ويستطيع المنشىء ان ينصرف في بطن القصة الى التأمل ، على ان يكون تأمله طريقا .. وهو يستطيع ان يعطي ما يشاء على ان يكون مخلصا .

وقال في مكان آخر من المجلة « والقصة عندي حنية تنتزع من صدر الحياة ، لا قطعة من الحياة كما يرى القصاصون غالبا . يجب ان تكون كبرق يلتوي في سماء مغيرة . والسماء المغيرة هي الحياة الجياشة .. وهي

دمعة وفاء

« عزيزي عاهل القصة العربية محمود تيمور .. هكذا أناديك واناجي روحك الطاهرة في الرفيق الاعلى واسأل الله ان نلتقي واياك على الايمان واليقين . وانا لله وانا اليه راجعون»

غلبت على شجو القلوب جراح ... وطفت على امل الشراع رياح
واستهدف المجداف للموج الذي ... قد ثار حتى استسلم الملاح
ومضت باطياف المنى دوامة ... وجثت على صدر الرضى أشباح
وتقلص الظل الظليل لدوحة ... ذبلت على جنباتها الافراح
يا كرمة الادب العريق تصبري ... ولى الاحبة المصير وراحوا
من كل سباق الخطى متدفق ... طويت صحيفته وجف الراح
هذا التراب وكم سجى في جوفه ... امل وكم غطى السرور وشاح
يا أيها الناعي الينا رائدا ... تزهى به وبفنه الالواح
قد كان آية عصره في حبه ... وسلوكه نعمت بها الارواح
حلو الحديث وما يشين كلامه ... لغو ولا طمس الحوار مزاح
فيض الحياء يذوب من نظراته ... وعلى محياه رضا وسماح
الاريحي أصالة وأرومة ... وبكفه نور الندى لماح
قضت السماء بأن يفارق جمعنا ... « محمودنا » واستشهد المصباح
عبر السنين فما تراخى جهده ... يوما ولا مل الصعود جناح
خط الكثير من الروائع وحيه ... وثماره طابت بها الادواح
والى البيان قديمه وجديده ... وله على متن السحاب براح
يهوى ويؤثر كل لفظ مشرق ... وفي على رحباته الافصاح
قد كان «محمود» العظيم نموذجا ... والصدق من صفحاته ينداح
اصفى القلوب مودة ومحبة ... يغدى به صفو المنى ويراح
يا للتراب يضم تحت لوائه ... هذي الشمائل والشذا فواح
ويهات يا هذا التراب تروعه ... ورصيده فوق السنا أرباح
اضفى الخلود على الخلود وفنه ... وجه على افق الهدى وضاح
هذا التراث وانه عند الحجى ... قيم على شفة الحياة فصاح
تعبت دموعي كل يوم نازح ... والموت غداء بنا رواح
في كل يوم راحل عن دربنا ... لم يبق بعد على الظلام صباح
عش في جوار الله واسعد عنده ... فسلامة للواصلين متاح
وأخلد حبيب العمر واغنم هانئا ... بنصيبك الموفور فهو رباح

القاهرة

قاسم مظهر

طلسم من حيث وقائعها ، ومن حيث أسرارها . فالقاص هو الذي يستطيع ان يطلع في لغته على سر من هذه الاسرار او دفينة من هذه الدفائن فيدونها . ويجب ان تنطوي القصة على شاعرية في الاداء اللفظي وفي التصوير على الخصوص . وعلى عمق في تحسس الحقائق النفسانية بمعالجة بسيطة جدا قائمة على حدث تافه ، مع كلمة عابرة ، على شعور يختلج ، مع اجتناب التحليل المنطقي او العلمي .. »

جدير بالادباء ، في ذكراه ، ان يتأملوا في بعض تلك الآراء الصائبة ..

مصر الجديدة

سمير وهبي

قرأت قصة عن المسامير أيضاً لعادل أبو شنب

بستان المسامير



بقلم جهاد الكاتب



قرر ان يقتحم البستان . واذ لم يجد للباب الحديدي الثقيل قبضة يطرقها ، ضربه بيده مرات حتى آلمته . ورفع رأسه ، ونظر الى السور الاملس، فخرجت اصوات من اعماقه تصفق اذنيه « ايها الجبان . . تسلق الاسوار . هل تريد من يحملك ويضعك في قلب البستان » .

وقف حافيا . . قدماه صغيرتان كأقدام الاطفال ، واصابعهما منتفخة . . أحس برطوبة التراب فتراجع الى الوراء ، ثم اندفع الى الامام وقفز ليمسك اعلى السور فسقط . نهض بتحد ، وضرب السور بقدمه وبصق على كفيه وفركهما ، واندفع مرة اخرى ، لم يصدق انه امسك اعلى السور البارد ، وشعر بالغبطة وهو يعتليه اذ لم يخطر له ان هذا سيحدث ببساطة تامة !

عندما قفز الى داخل البستان ، واحدث سقوطه صوتا كقرع الطبل، تجمد مكانه ، حتى عيناه توقفتا ، واحس ان آلاف المسامير صلبته على الجدار ، وتمنى ان يأتي نسر ويحمله من رقبته الى قمة اي جبل !

كل الناس يسخرون منه « انت مسالم ، فاشل ، جبان » . منذ كان صغيرا في المدرسة وهو يتلقى الصفعات . . وهو الآن يخشى ان ينظر في عيني احد ، ويتصور حين يخترق اي طريق ان المارة يراقبونه، وسينقضون عليه ، لهذا فهو يختار الشوارع الخاوية، وليس ثمة سبب معين يجعله يبدو بهذا التضاؤل ، ولكنه حين ينادي صوت من اعماقه: ضع نابين اضافيين في فمك ، يضطرب ، ويقرر اعتزال الناس ، ويعلل هذا لنفسه حبه المسالمة وتجنبه المشاكل ، ورغبته المستمرة بالهدوء ، الا انه في اعماق نفسه يخاف ، يخاف الحياة ، ولا تنفعه كل تلك الشهادات التي طمس بها جدران الغرفة . انه يرفض الزواج اذ يخشى ان يقذف اولاده الى الدائرة التي يرسمها كل يوم . ان صديقه الوحيد لا يفتأ يهمس في أذنه « انت تخاف من البقة » . وهو الان يريد ان يثبت انه لا يخاف من التمساح !

قبل ان يفيق من دهشته سقطت كل الاصوات المرعبة في اذنيه . وعندما حرك يده وتأكد انه لا يزال حيا ، فتح عينيه دفعة واحدة فأوسعهما ليجد ذلك العالم الذي حدثوه عنه . وها هو ذا يقتحمه ويقف فيه ويراه . انه لا يحلم ، فتلك حقيقة ، فقد خلع الحذاء خارج السور ، وهو متأكد ان هذا حدث فعلا .

تقدم خطوات قبل ان يقرر انه رأى الارض مزروعة بالمسامير، وهي من مختلف الاحجام والاشكال ، تتسامق بينها أشجار لم ير مثيلا لها ، ولم تكن ظاهرة خلف السور . انها اشجار كلها ثمار ، وليست لها اوراق ، واغصانها ملس ، وجذوعها كالمداخن القديمة السود .

في آخر الممر الطويل الذي تراصت على طرفيه المسامير الطويلة الحادة ، ثمة قصر كهل ينام على زند سحابة من الضباب . وظل مأخوذا ، مبهورا بما يرى . من يصدق ان قدميه النحيفتين تقودانه نحو قصر بستان المسامير ! لقد تمنى مرارا ان يزوره ، ولكنه كان يتصور ان الدخول الى البستان امر عادي .

كان رأسه مشدودا الى السماء، الى الاشجار ذات الاشكال الاسطورية التي تبدو وكأنها زرعت منذ بدء الخليقة . وادهشه الا يسمع صوت اي طير . وكلما تقدم خطوات تأزمت دهشته وانقلبت الى خوف متصاعد . ولكنه أصر ان يستمر ، وقرر ان يغامر وان يصنع ما يريده ، وتلك هي المرة الاولى التي يقرر فيها شيئا محددا . . وقد ظل طوال ايامه يتمنى فقط ، وينتظر ان تأتي احلامه ناضجة لتركع عند قدميه .

بهرته الثمار الملونة التي لم يعرفها ، وعلى الرغم من انه كان جائعا الا انه ادعى الشبع . ولم يفكر كيف يمكن له ان يتخطى هذه المسامير ليصل الى اي شجرة ، ونسي انه هبط البستان لمجرد ان يؤكد لنفسه انه لا يخاف ، ونسي ايضا ان يسأل نفسه سؤالا عابرا : من زرع هذه المسامير ؟.

في المدينة يبحثون عنه الآن ، فمن غير عادته ان يتغيب عن البيت دون ان يخبر اخوته وامه ، وكل ما كان يفعله خارج البيت ان يسير ساعة منفردا ، يتأمل البيوت البعيدة ويشتهيها ويهز رأسه ثم يعود ليبتلعه بطن كرسي عريض ، وينام بعد ان يهضم عشرات الصفحات او يكتب مثيلاتها .

عندما تذكر العملاق توقف وتلفت حوله ببطء ورعب . . اذا هو الآن في بطن البستان ! لم تدم غبطته لاقتحامه البستان فسرعان ما وجد نفسه بعيدا عن الاسوار . سمع ان العملاق ذو عين واحدة لا يرى بها الا ما يريد ، وان له قرنين طول كل منهما متر فتسلق الندم والرعب الى قلبه ، وتذكر انه لا يحمل حتى سكينا صغيرة ، فأدرك ان نهايته

قربت . لن يدري احد مكانه ، ولن يستطيع احد نجدته ، واي صوت يصل خارج الاسوار الملس !

لم يجد امامه الا ان يتابع .. ولم يقرر ذلك ، وانما وجد نفسه يفعل هذا بعد ان احس ان وقوفه امتد مسافة من الزمن هي التاريخ كله..

وعندما وصل الى فسحة القصر ووطئت قدماه المرمر رعد صوت ثقيل :

ـ قف ..

شيء كالصاعقة ، اصطكت له اسنانه ، واهتزت الاشجار والمسامير . وصلب من جديد حين غمره ظل اكسبه برودة في اوصاله.

دوى الصوت مرة اخرى ، وكان قريبا فهزه هزا :

ـ استدر ..

حين استدار يمينا قطعة واحدة متصلبة ، ادرك انه قضي عليه فاغمض عينيه ، وانتظر ان تقبض كف العملاق على رقبته .. ولا يدري كم مضى عليه وهو يقف منتظرا قرار العملاق . وعندما سمع صوتا :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ادرك أنه لن يموت بسهولة ففتح عينيه ليجد نفسه وجها لوجه امام العملاق . لم يكن بعين واحدة ، ولم تكن له قرون ، ولكنه ذو راس كبير وشعر كثيف يغطي قسما من وجهه .. كان طويلا ، طويلا ، لا يصل القصر الى كتفيه ، وشارباه من الفولاذ ، يحمل على كتفه بندقية تتسع فوهتها لراس انسان . وكرر العملاق :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

وفكر ، كيف لا يبدو العملاق من خارج الاسوار . لم يتصور انه سيحدث العملاق يوما فوقف ينتظر مصيره ، مستسلما .. خاطبه العملاق بقسوة :

ـ ماذا تريد .. تكلم ؟

لم يفتح فمه بكلمة ، فقد فوجيء بهذا السؤال . ماذا يريد ؟ ولماذا دخل الى البستان .. سأله العملاق :

ـ كيف دخلت الى هنا ؟.

وعرف من لهجته انه ارتكب اثما كفارته الموت ، فركع على الارض ، وخطر له ان يسأل العملاق الصفح وان يقول له الحقيقة ، ولكنه وجد في عين العملاق ذات الشعاع الناري ان موته مؤكد . فنهض وقرر ان يقاوم ولم يعتقد انه يمكن ان يكون شجاعا ! تحرك العملاق نحوه يكسر بقدميه الصخريتين المسامير فيسمع صوت قطار يدخل المحطة ، وفكر بالهرب قبل ان تدوسه احدى القدمين ... رعد العملاق :

ـ أتريد ان تسرق الثمر ؟.

ثم قهقه ، فارتج القصر ، وفتحت النوافذ ، وامتدت رؤوس كثيفة ذات وجوه جميلة وناعمة ، ميز منها وبسرعة ، وجه فتاة رائعة الحسن تبدو كالدمية .. صاح العملاق :

ـ لدينا ضيف ..

وقهقه ثانية .. وضحكوا معه ، حتى خيل اليه ان المسامير تضحك أيضا وبحركة من يد العملاق اختفت الرؤوس ، واغلقت النوافذ عدا نافذة الفتاة الحسناء . شعر بتصلب في رقبته وهو ينظر الى الاعلى .. صرخ العملاق بنزق :

ـ أيها الحراس ..

ارتج البستان بأركانه وراحت المسامير تطول وتضخم وتتحرك . وعلى الفور فتحت الابواب ، واندفع عبرها حراس صغار مفتولو العضلات ، لا يحملون بأيديهم شيئا ، وتراكضوا نحوه واحاطوا به .. نظراتهم صارمة وقبضاتهم مشدودة ، وايقن انها نهايته . ولكنه ، وبلمحة تذكر ، ازال عن وجهه بعض ملامح الرعب والاعياء.

ظل وجه الفتاة الحسناء يطل من النافذة كالضباب ، كالدمية ، وانتظر ان تسرع اليه لتنقذه ، ولم يفكر اطلاقا ان يستنجد بها .

قال له العملاق :

ـ الا تعرف عقوبة الدخول الى هنا ؟

لم يستطع ان ينكر .. وفي الوقت ذاته احرجه ان يعترف . صرخ العملاق ، ورفع يده ، وكشف الشعر عن وجهه القبيح ، فانقض الحراس عليه ورفعوه بأيديهم وكأنهم يحملون غصنا صغيرا ، وسقطت من جيوبه هويته ذات الصورة المصفرة وقطع نقدية نحاسية .. ماذا يريد ! لم يخطر بباله ان يقول اي شيء ، فنادى :

ـ أريد مالك البستان .. يا مالك البستان !

تجمد الحراس ، وسرى الصمت، وامتد فترة قربت الى الجمود ، ثم همس العملاق ، وهمسه كالصفير :

ـ تريد مالك البستان ؟!

نادى مرة اخرى دون هدف ، وهو لا يعرف ان كان هذا سينقذه:

ـ يا مالك البستان ..

وردد الصدى نداءه .. يا مالك البستان .

نفخت ابواق حادة حين فتح الباب الكبير للقصر ، واندفع منه مسرعا مالك البستان وهو يجر وراءه حاشية طويلة لا يصدق الرائي انهم كانوا جميعا داخل القصر .

وقف امام المالك وجها لوجه ، وتراجع الحراس الى الخلف وعقدوا اذرعهم ، وفتح العملاق ساقيه ...

لم يبق امامه سوى الاشجار المزروعة وسط حقول المسامير . سأله مالك البستان وهو يأكل بعض الحروف بسرعة :

ـ ماذا تريد.. قل ماذا تريد .. قل ؟.

مرة اخرى يسألونه ماذا يريد .

وادرك انه ورط نفسه من جديد، ماذا يقول . كلما خطر له خاطر انكفأ على نفسه يلومها .. ماذا يريد ؟. عزفت الحاشية بصوت

بائع الجزر

تعال هنا من يبيع الجزر — فقد شاقني أكل ذاك الثمر
شغفت به منذ عهد الصبا — واحببته في ربيع العمر
اذا ما رأيت له بائعا — ورن بأذني نداه العطر
وابصرت اقماعه نضدت — صفوفا لتسبى الحجا والنظر
هرعت اليه وبي لهفة — كلهفة أم رأت من تبر
وأحضرت منه الذي ابتغي — فحق لعيني به ان تقر

منيا القمح ـ مصر — محمد السعيد عواد

موسيقي :

ـ هل انت أخرس ؟!

فأشار اليه مالك البستان بعصاه :

ـ اسمك ؟.

ثم أومأ لرجل يقف الى يمينه يحمل سجلا سميكا ، ففتحه وبدأ يقلب الصفحات وينظر في وجهه ، ثم قدم السجل الى مالك البستان، فقرأ :

ـ رجل جبان ، عمله القراءة والكتابة والنوم .. هذا انت اذا ! رجل جبان !

ـ لست جبانا ..

ـ هه .. قل ماذا تريد ايها الشجاع ؟

والتفت مالك البستان الى الحاشية :

ـ انه لا يعرف ماذا يريد .. اضحكوا .

قال هذا فانفجر مالك البستان ضحكا .. حتى المسامير ضحكت ، ورأى اسنانها . ولم يصدق ان اوامر مالك البستان تنفذ بهذه الدقة .. قال مالك البستان :

ـ هل تريد الثمر ..؟

وردت الحاشية بتهكم فاضح :

ـ أنت جبان ..

وصاح المهرج الذي كان يختفي خلف مالك البستان ، ووضح وجهه الملون :

ـ سأهديك كتابا وحذاء ..

ضحكوا .. لا هرب الآن ، فعليه ان يسلك طريقا وحيدة ، هي ان يدوس المسامير الطويلة التي تفتح أشداقها لتبتلع دمه . فأمامه مالك البستان وحاشيته يقفون كحائط لا نهاية له ، والحراس خلفه ، والى يمينه يمتطي العملاق السحاب وهو يصوب بندقيته الشرهة الى راسه ، وبجانبه بركة ماء لا يعرف عمقها، ثم انه لا يعرف السباحة .

لو قال لمالك البستان ماذا يريد فلعله يلقى غير ما ينتظره . ولا يدري كيف قال بصوت خافت يريد ان يسمع مالك البستان ولا يريد :

ـ اريد ان اتفرج على البستان..

قطب مالك البستان جبينه ، ومد رقبته السميكة ، وكان رأسه يبدو متصلا بكتفيه مباشرة ، ورفع عصاه .. فعرف انه أتي ذنبا جديدا . صاح مالك البستان بغضب :

ـ خذوه ..

ونفخ العملاق بعده :

ـ أيها الحراس .. خذوه .

فانقضوا عليه ، وانتشلوه من الارض ورفعوه على أكفهم ، وسمع صوت مالك البستان يتوعده :

ـ تريد ان تتفرج أيها الجبان ؟!

وردد المهرج :

ـ هل اشتريت تذكرة لحضور حفلتنا ؛

وصرخت الحاشية بصوت موحد قوي :

ـ من اجل هذا عطلت عمل مالك البستان !

غادر مالك البستان الساحة مسرعا تتبعه حاشيته ؛ وعندما اغلق باب القصر انطفأت انوار البستان فكان الليل . وما هي الا لحظات حتى وجد نفسه في قعر البركة الآسنة ، وهو الذي لا يعرف السباحة فأيقن انه هالك . تذكر كل شيء ، دفعة واحدة ، ولكنه لم يتذكر ما يجب ان يقوله للعملاق : ماذا يريد ؟

قعر البركة كان مملوءا بجثث الكلاب الضخمة مغطاة بأوراق الكتب المنتفخة . احس بالاختناق وهو يبلع ماء ذا طعم قذر يلسع اللسان ويحرق المعدة والصدر ، وتمنى لو أنه اختار السير في حقول المسامير وتخترق حتى بطنه !

اخرجوه .. ولم يكد يستنشق الهواء حتى بصقوا على وجهه ورموه الى البركة قبل ان يفتح عينيه فوصل القاع حالا . وسمع صوتا لا يعرف ان كان خرج من اعماقه .. يجب ان تختنق ، وتظل في القاع.. يجب ألا تعود . وتمنى لو ان الله خلقه سمكة . ماذا لو فكر قبل دخوله البستان بما يريد . لم يفكر الا بوسيلة يدخل بها البستان .. حتى الخروج لم يحسب له حسابه، وظن أن كل شيء سيكون سهلا ، وان كل ما في البستان سيكون ملكا له .

انتشلوه ، وهو في رمقه الاخير ، ثم رموه مرة ثالثة ، وفي هذه المرة فقد كل ما يجعله يعتقد انه حي ، واستمر انتشاله وقذفه الى ان اطبق عينيه .

ولا يدري ماذا حدث بعدها بالضبط .. وكل ما أحس به هو ارتطام جسمه حين رموه خلف السور .

حلب — جهاد الكاتب

الذبـاب والعجـوز

الدكتور رجا سمرين

الكـويـت

تجمعوا تجمعوا كأنهم ذباب
في كف كل منهمو كتاب
بينهمو الاعداء والصحاب
قد قرأوا سطوره من قبل ان يروه
من قبل أن يؤودهم تحمله
من قبل ان تسحقهم كلاكله
لكنهم لا يعرفون ما بباطن السطور
ويجهلون مـا يخبىء العجوز

ومرت الايام والعجوز ما يزال
يمضغ السؤال
الى متى يظل هذا النجم يركب المحال ؟!
يجعل من أسوارنا
أحزمة تمنطق الخيال
ويرجع الصدى
سؤاله المهزول
الى متى يظل هذا النجم يركب المحال ؟!

وغنت الضفدع هل جننت يا عجوز
ألا تكف عن سؤالك السخيف
ألا ترى الفراش كيف يعصب العيون
ثم يسير دون ما تردد ليأكل اللهيب ؟!

ورفع العجوز رأسه الكبير
ومد نحو الافق كفه الصغير
وراح يقطف النجوم
نجيمـة نجيمـة
ويملأ الجعبة من لآلىء السماء
وظل طول الليل يقطف النجوم
ويأكل الكواكب المثلجة
ويشرب الفضاء
ويضرب الغبار والبحار
ويقذف الصغار بالمحار
حتى رآه عاشق الشجر
فهاله مـا يفعل العجوز
فاستل من حزامه زهرة اقحوان
وقذف العجـوز
فخر فوق الارض ساخطا يقول :
مـا أظلـم الورود !
مـا أظلـم الورود !


عبـد القادر عياش

عبـد القـادر عيـاش

الباحث الفولكلوري والمؤرخ الفراتي

بقلـم حسان الكاتب

* * *

الاستاذ عبد القادر عياش باحث ومؤرخ . ولـد بمدينة دير الزور حاضرة الفرات بسورية عام ١٩١١ لوالد يدعى السيد عياش الحاج الحسين من أسرة أبي عبيد .

عاش طفولته في القرية وفي دير الزور .. وتعلم في مكاتبها ومدارسها الابتدائية . وانتقل الى الكلية الاسلامية في بيروت . فحصل على الشهادة الابتدائية ، ثـم انتقل الى المدرسة الانجيلية الوطنية في حمص وحصل منها على شهادة المتوسطة ، ولم يكن فيها تعليـم ثانـوي . فانتقل الى المعهد العربي الفرنسي بدمشق (معهد الحرية) واتم فيه دراسته الثانوية سنة ١٩٣٢ .

وفي عام ١٩٢٥ نفت السلطة الافرنسية أسرته الـى بلدة جبلة على الساحل السوري بتهمـة التحضير لنشر الثورة في الفرات لمساعدة الثورة السورية في جبل العرب وفي غوطة دمشق . وقبض الفرنسيون على أخويه محمـد ومحمود و (١٣) رجلا من ريف الفرات وبعـد تعذيبهم قدموهم الى محكمة افرنسيـة بحلب . وحكمت المحكمة على أخيه محمود ورفاقه بالاعدام رميا بالرصاص ونفـذ فيهم الحكم بحلب ، وحكمت المحكمة علـى اخيه محمد بالنفي وتوفي والده في منفاه بعد ستة أشهر . وامتد هذا النفي اربع سنوات .

درس الحقوق بجامعة دمشق وحصل على اجـازة الحقوق عام ١٩٣٥ . وتـدرب بدمشق . تزوج سنـة ١٩٣٦ ، وله سبعة اولاد ذكور واناث .

زاول المحاماة بدير الزور مـدة سنتين وعين قاضيا عقاريا في حلب سنة ١٩٣٧ وانتقل الى معرة النعمان ، ثم الى دير الزور ثم الى دمشق قاضيـا مفسرا . وفي سنـة ١٩٤١ عين مديرا لمنطقة البـاب بمحافظة حلب وقضى فيها سنتين . ونقل الـى منطقة سلمية فاستقال مـن الوظيفة سنة ١٩٤٣ ، وعاد الـى ممارسة المحاماة بدير الزور . والى جانب المحاماة عين محاميـا لقضايا الدولة عدة سنوات . وعين عضوا في المجلس البلدي بدير الزور عام ١٩٤٤ . وهو عضو في عدة جمعيات علمية . لا ينتمي الى أي حزب سياسي .

حرص على الاسهام بنشر الثقافة في بلـده لشدة حاجته اليها، فكان يلقي محاضرات في النوادي والمتنزهات العامة (الجراديق) . وطبع نشرات علـى نفقته ووزعهـا بالمجان . وأسس نادي « البيت الثقافي » بديـر الزور سنة ١٩٤٤ ، وأداره . وكان يلقي فيه محاضرات في تاريخ دير الزور ووادي الفرات . وكان يضم مكتبة تحتوي على آلاف الكتب قدمها المترجم له هدية للنادي . وكان فيـه تسع غرف كبيرة وباحـة واسعة ومسرحان صيفـي وشتوي . وكان يمثل عليه (كما يذكـر الاستاذ عياش) صديقه الاستاذ اسماعيل حسني . وقـد اغلق حسني الزعيم هذا النادي عام ١٩٤٨ فيما اغلق مـن النوادي بسورية . ومكان النادي ملك للاستاذ عياش .

وفي سنة ١٩٤٥ اصدر مجلته « صوت الفرات » . لتكون أداة لنشر الثقافة في دير الزور وفي منطقة الفرات. وهي أول مجلة ثقافية تصدر بدير الزور وقـد اقتصرت مقالات هذه المجلة على التعريف بحضارات وادي الفرات وتاريخ مدنه . ووصف اقتصاده . وتدوين تراثه الشعبي وابرازه . يقـول الاستـاذ عياش بهذا الخصوص : « ان معالم وادي الفرات ـ القسم السوري، او الفرات الاعلى، ما زالت غير واضحة وشبه مجهولة من السوريين وابنـاء الاقطار العربية ، بسبب ندرة ما كتب عنه .

ليس بين كل الوديان التـي تضاهي وادي الفرات مساحة ، وغزارة مياه وخصوبة ارض ، وتاريـخ مجيـد وحضارات مشهورة قديمة ، بلد ناله من اهمال الباحثين والكتاب ، في العصور الحديثة ، مـا نـال وادي الفرات وسكانه من الاهمال ، في الوقت الذي كتبت تواريخ الاقوام القديمة والحديثـة ، ووصفت حياتهـم الاجتماعية .

ودونت فنونهم الشعبية، ولم يكتب تاريخ وادي الفرات في هذا القسم مع أهميته الكبيرة. ولا دونت فنونه ومأثوراته، ولا درست ووصفت أوضاعه وتطوره ومشاكله (1)».

وهذا ما دفع الاستاذ عياش للاهتمام باظهار تاريخ وادي الفرات. وقد ثبتت مجلة صوت الفرات كل هذه المدة أي مدة (٢٨) عاما برغم العقبات العديدة، محافظة على خطتها ومستواها. تشكل مجموعة اعدادها المرجع الوحيد في اللغة العربية عن شؤون الفرات بسورية. واشترى لهذه المجلة مطبعة سنة ١٩٤٧، وانشأ دارا للنشر في دير الزور باسم «دار الفرات للنشر». واعلنت عن اسماء الكتب التي ستصدر عنها. وجميعها عن الفرات. لكن حسني الزعيم رئيس الدولة اغلق المجلة والمجلات والصحف السورية سنة ١٩٤٨ فباع المطبعة في حلب وتوقف مشروع دار النشر التي كانت دير الزور محتاجة اليها. وما زالت أشد حاجة اليها.

والاستاذ عبد القادر من هواة زيارة الآثار القديمة. ولقد زار العديد من المعالم الاثرية في البلاد العربية والعالم، وانشأ في بيته متحفا صغيرا للعاديات والتقاليد الشعبية ١٩٥٧، تخلو دير الزور من متحف غيره، كتبت الصحف عنه. وذكره الاستاذ محمد ابو الفرج العش محافظ متحف دمشق في كتابه «آثارنا»، واسس جمعية العاديات في دير الزور سنة ١٩٥٨، ما زالت قائمة، هي الثانية في سورية. وانشأ مركز الدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور بنفس السنة، ما زال قائما، زيارة المتحف مسبلة للجميع في كل الاوقات.

وقد اشترك بالمؤتمر العربي الثاني للاثار، الذي عقد ببغداد في اواخر سنة ١٩٥٧، وتلقى دعوات للاشتراك بمؤتمرات الآثار العربية. وتلقى دعوة للاشتراك بالمؤتمر الخامس للاثار في البلاد العربية الذي تقرر عقده في القدس بين ٣ - ١٣ حزيران ١٩٦٧ واشترك بمؤتمر الآثار الكلاسيكية التاسع الذي عقد بدمشق عام ١٩٦٩. توفيت زوجته عام ١٩٦٣، لم يتزوج بعدها.

كما اشترك اخيرا في المؤتمر الدولي للتاريخ والآثار بدعوة من الجمعية العراقية في بغداد بتاريخ ٢٥ - ٣ - ١٩٧٣، والقى فيه محاضرة.

ولا تزال تصدر مجلة صوت الفرات في دير الزور. وهي ثقافية شهرية محافظة على خطتها، تجنح الى الدراسات الاتنوغرافية والتاريخية والفولكلورية. وتكاد تنفرد بهذين اللونين من الدراسات من بين جميع المجلات العربية.

وقد نظم عددا من المعارض في دير الزور. نذكر منها على سبيل المثال معرض الصور عن البلاد العربية عام ١٩٤٦ في نادي «البيت الثقافي» والثاني معرض الكتاب الفراتي سنة ١٩٦٠ بمناسبة ١٧ نيسان. وفي عام ١٩٧٣ اقام له المركز الثقافي بدير الزور معرضا لكتبه ومؤلفاته التي زادت على ١٣٢ كتابا وكراسا ودراسة كلها عن وادي الفرات. بالاضافة الى أبحاث طريفة ونادرة. نذكر منها على سبيل المثال: «الحدائق العامة» - «التحية والسلام» - «اصابة العين» - «تقديس المياه» - «متع روحية» - «البيت في حياة العرب» - «الحلي والوشم والتبرج» - «المعارض العامة» - «المتاحف واهميتها» - «هواية طوابع البريد» - «البئر في حياة العرب» - «الاسطورة في حياة الشعب» - «العصا في حياتنا وتراثنا» - «المصيبة في حياة العرب» - «الطير في حياتنا وتراثنا» - «التبغ في حياة الناس» - «الملح في حياتنا وتراثنا» - «الذئب في حياتنا وتراثنا» - «الحية في حياتنا وتراثنا» - «النار في حياتنا وتراثنا» - «في المانيا الديمقراطية» رحلة - «اليد في حياتنا وتراثنا» - «القمر في حياتنا وتراثنا» - «الماء في حياتنا وتراثنا، جزء اول وثاني» - «الحماسة في حياتنا وتراثنا» - «الابل ثروة أضعنا» - «الغزال ثروة ابدناها»، وكل هذه الابحاث والدراسات والكتب هي أبحاث ودراسات تكاد تكون نادرة وطريفة.

وصدر له اخيرا: «من ملامح وادي الفرات في القديم والحديث» - و «قرقيسيا» قرية البصيرة قاعدة وادي الخابور - «والرحبة» قاعدة طريق الفرات بلدة الميادين حاليا بمحافظة دير الزور بسورية و «حكايات من وادي الفرات وطن الاساطير والخرافات» وهو مجموعة حكايات شعبية في الفرات و «منطقة البوكمال في محافظة دير الزور وسورية».

ويقول الاستاذ محمد العدناني في مؤلفات المترجم له: «ان مؤلفاتك ذكرتني بجهد النحل، الذي يحط على أزاهير الرياض، ليشتار من كؤوسها قطرات الشهد، ويجمعها في قرص هندسي دقيق جميل، كما جمعت معلوماتك الخالدة عن وادي الفرات، ووضعتها في موسوعتك، التي تمتعنا بطلاوة مادتها ودقتها، وحملتنا جميعها على ان نشهد لك بالفضل الكبير على سكان وادي الفرات كافة، بتسجيلك تاريخهم العريق، الذي كاد الاهمال والنسيان يطمسان معالمه.

واشكر أيضا للسيد يعرب السيد، ابن دير الزور البار، اجادته وصف «متحف التقاليد الشعبية في دير الزور» الذي أسسته وحدك بعرق الجبين وسهر الليالي، حتى أصبح محط انظار السائحين، وكل من يزور مدينتك الخالدة (2)».

1 - انظر صفحة (٦) من مجلة «العمران» عدد خاص عن دير الزور عام ١٩٧١، مقال للاستاذ عبد القادر عياش بعنوان «وادي الفرات في القطر العربي السوري».

2 - مجلة الاديب - العدد الصادر في ابريل (نيسان) ١٩٧٣.

اما الاستاذ رشاد علي أديب فيحدثنا عـن الاستاذ عبد القادر فيقول : انك لا تفتأ جاهدا منـذ امد بعيـد بتصنيف البدائع من التراث الشعبي (الفولكلوري) في وادي الفرات واليك هذه الابيات مما قاله : (٣)

أعياش أبدعت في كل مـا　　كتبت وصنفت عن شعبنا
أنالـك ربـك خير الجزاء　　وأكرم بـه جازيا محسنـا
صديقي أبثك مني السلام　　وأصفى الوداد وأوفى الثنا

أما الاستاذ كوركيس عواد فيقول « قليـل مـن الباحثين من قد أوتي حظ اختيـار الموضوعات الطريفة النافعة ، بمثل ما أوتي الاستاذ عبد القادر عياش » .

وعندما يتحدث الاستاذ عبـد الغني العطري عن المترجم له يقول : « أما المؤلف فقل من يجهله في العالم العربي ، بعد ان وقف جهده ، ونذر ماله ووقته لخدمة منطقة الفرات ، وانصرف بكل ما يملك مـن نفس ونفيس الى التنقيب عن العادات والتقاليد الشعبية في الفرات ، فلم يترك بابا الا طرقه ، ولا سبيـلا الا سلكـه ، ولا موضوعا الا عالجه ، حتى بات ما كتبه وألفـه موسوعة تخلد منطقة الفرات ودير الزور عامة (٤) .

واذا اردنا ان نقدم كلمات اخرى ذات شأن كبير في الاستاذ عبد القادر نقدم ايضا ما قالـه الاستاذ حامـد حسن : « من أراد ان يجمـع التاريخ ـ وأخص تاريـخ وادي الفرات والجزيرة الفراتية ـ في حقيبة ، ويرى امة في رجل ، فليقرأ ما دبجته يراعة العلامـة عبد القـادر عياش ، ولينظر اليه ، ومع ان هذا الرجل العلامة يعيش بين ظهرانينا . ويعمل صامتا فاننا لم نستطع الانتفـاع بهذه الثروة ، ونتعم بهذا العطاء . ولعل أهل النعيم اقل احساسا بالنعمة وشعورا بها وتقديرا لها » .

أما المؤرخ فيليب حتي فيقول « عزيزي الاستـاذ عبد القادر عياش : رجعت الـى مقري ورأسي محشو بتذكارات مقابلات لا عداد لها مع ادباء واساتذة ورجـال حكومة .. الخ ولكن تلك المقابلة المتواضعة في دمشق مع فرد من بني قومنا في زاويـة جغرافية نائية شاذ عـن القاعدة لا يكرس وقته وقواه وماله لنفسه ولذويه ، بـل يضع بعضه في خدمة ابناء بلدته ووطنه دون تعويض سوى لذة الخدمة والفائدة ـ حقا ان تلك المقابلة لم يزل اثرهـا حيا مستحبا في ذاكرتي وسيبقى كذلك الى أمـد بعيد ولا سيما وان ذاكرتي محشوة بآثـار الخنفشاريات التـي سمعتها والخطط العنتريـة التـي أصغيت اليهـا والسفسطات الخطابية التي تعرضت أذني لها فهنيئا لك في عملك وانت لا تحتاج الى تنشيط فيه . والامل فـي استيقاظ شعبنا لا يزول ما دام بينهم من امثالك » .

اما امين عام مجمع اللغة العربية في القاهرة الدكتور ابراهيم مدكور فيقول في دراسات الاستاذ عياش : « انها دراسات خليقة بالتقدير ، بل الاعجاب ، وحبذا احتذاؤها في ارجاء الوطن العربي ، فهي للمؤرخ ليس عنهـا غناء ، وللباحث الاجتماعي ضوء كاشف عـن العادات والتقاليد والاعراف . وهي فوق هذا وذاك صفحات ممتعة للقارىء بوجه عام » .

ويتحدث الدكتور نور الدين حاطوم عـن التحف الاثرية التي يهتم بها المترجم لـه فيقول « كما اعجبت بمجموعاته الاثرية عن المنطقة التي تستحق ان يفرد لهـا متحف خاص لاظهار جمالهـا الفنـي وقيمتها العلميـة والاثرية » .

ويظهر لنا الدكتور نبيه العاقل مزية اخرى فـي الاستاذ عبد القادر فيقول : « احيي فيكم العالم الصامت الذي ما لبث منذ سنوات طويلة يقدم الخدمة تلو الخدمة لتاريخ بلده لا يرجو من وراء ذلك جزاء ولا شكورا » (٥).

واذا اردت اخيرا ان انصف البحاثـة عبـد القادر عياش بكلمة اقول : عرفت هـذا الانسان قدوة للعالـم والمفكر في صبره وجلده في سبيـل الوصول الـى نشر المعرفة ، فهو شعلة متوقدة من الذكاء والنشاط والحيوية فتارة تراه بحاثة تاريخيا يجمـع كتب التاريـخ والمراجع وينقب عنهـا . ومرة تراه بحاثـة شعبيـا (فولكلوري) يبحث عن الدراسات الشعبية الطريفة ، ليدرسها ويقدم فيها كل جديد . وفي مجال آخر تـراه بحاثة ادبيا يهتم بالدراسات الادبية والنقد والشعر . واذا حدثته في هـذا المجال تراه مطلعا زاخرا . واذا حدثته بالعلوم تجده قـد طالع ما نشر في المجلات العلمية بنهم وعلـق عليه .. واذا أردت ان تعرف ما هـي المؤلفات الحديثـة والتيارات الفكرية العالمية فاسأله تجد عنده خبر اليقين . حديثه الدائم عن الندوات الادبيـة والعلميـة والمعارض الفنية والتيارات الفكرية والشعر والنشـر .. والحقيقة التي يجب ان تقال ، فان عبد القادر عياش موسوعة زاخرة في اعماله ومؤلفاته (٦) ويعنى بوضع موسوعة عـن وادي الفرات .

دمشق　　حسان الكاتب

(٣) مجلة الاديب ـ ج٩ ، السنة ٣١ ، عام ١٩٧٢ .

(٤) مجلة الاديب ـ عدد يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٣ .

(٥) أنا والفرات ـ للاستاذ عبد القادر عياش ـ دير الزور ، عام ١٩٦٧ ، صفحة (٣٣) .

(٦) وان من المؤلفات الهامة التي يعدهـا الاستاذ عبـد القادر « معجم الكتاب السوريين في القرن العشرين » . وهو يبذل في سبيـل تاليف هذا الكتاب نشاطا جبارا للاتصال بالكتاب السوريين والحصول على تراجمهم ، اذ انه سيضمن في هذا المعجم ترجمة كل من لـه مؤلف مطبوع في سورية خلال القـرن العشريـن باستثناء الكتب المدرسية . ويعمل فيه منذ ثلاث سنوات .

الحزن داخل وخارج المرآة

لؤي فؤاد الاسعد

حلب ـ سورية



حزني في مرآة اليوم
يصحح وجه الحزن
يمضي وجهي
أبعد من خطوات اللون
حين يفرد
فوق الزئبق هذا الشحرور
يعود شحوب الريح
الى وجهي
يركن في زاوية
في أقصى الصمت
ولأن يدي
لا تجرؤ ان تمسح عن
أجساد البسمات حنانك
يستلقي حبك في المرآة
شهورا شاحبة كالموت

وأنا لما تزل الريح أنا
تستقطبني في شكل الريح
الغابر ألوان الموت
ويغيرني في اليوم المقبل
عصر الآهات
عصر اللاوجه المقبل
تحت سياج الامطار
وتعذبني
ثانية الفصل القوقازي
المخبوء بأعمدة الدور

لو كنت أنا
ماذا لو كنت أنا
تبرد في حلقي الكلمات
وتجمد أحرفها وتموت
والحزن
المقبل
في يوم الغد
يستلقي في المرآة



محمود تيمور

محمود تيمور الاديب لا يموت

بقلم عبد الرحمن شلش



دور بـارز

في الخامس والعشرين مـن اغسطس الماضي ، فقـدت الحركة الادبية في مصر ، رائـدا مـن اشهر رواد ادبنا الحديث .. ذلك هو الاديب الكبير محمود تيمور الذي توفي في « لوزان » بسويسرا عن ٧٩ عاما .

والاديب الكبير محمود تيمور لعب دورا بارزا فـي حياتنا الثقافية ، وشغل عـدة مناصب ادبيـة ، فكان عضوا في مجمع اللغة العربية ، وبالمجلس الاعـلى لرعاية الفنون والآداب ، ودار الادبـاء ونادي القصة بالقاهرة . كما كان عضوا بالمجمع اللغوي العراقي والمجري . وقـد نال عدة جوائز واوسمة : الجائـزة الاولى مـن المجمـع اللغوي عام ١٩٤٧ ، وجائزة الدولة التقديرية للاداب عام ١٩٦٣ ، ووسام الاستحقاق من الطبقة الاولـى ، ووسام النيل ، ووسام الارز اللبناني ، وغير ذلـك مـن الجوائز والاوسمة .

ولقد ترك اديبنا تراثا ادبيا ضخما يزيد عـن ستين عملا بين القصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية ، والصور والخواطر الادبية ، وكتب الرحلات ، والدراسات الادبية واللغوية ، وقد ترجمت بعض اعماله الى اللغات الاجنبية ومن بينها : الانجليزيـة والفرنسية والروسية والالمانيـة وغيرهـا .

وكان ادبه موضوعا لاكثر مـن رسالـة دكتوراه ، وماجستير ، ودراسة ادبية ونقدية .

الجانب الادبي في حياته

ولعله من المفيد ان نشير ــ في ايجاز ــ الى الجانب الادبي من حياة شيخ القصة المصرية ، قبـل ان نمضي في تناول ادبـه .

ولد في القاهرة في ١٦ يونيو عام ١٨٩٤ ، ونشأ بين أسرة عريقة معروفة في عالم الادب والثقافـة والعلم ، فوالده هـو الاديب العالم احمـد تيمـور ، وعمته هـي الشاعرة عائشة التيمورية ، وشقيقه هو الاديب الفنان محمد تيمور .

وتنقل في دراسته ، مـن المرحلة الابتدائية ، الـى الثانوية ، فمدرسة الزراعة العليا ، ولكنه فجأة مرض بالتيفود وهو في بدء حياته الدراسية العالية ، فانقطع عن مواصلة الدراسة .

ومن هذه الفترة وجد في عالم القراءة فرصة لشغل وقت فراغه ، ومقاومة الملل وآلام المرض اللعين وهمومه ، وسرعان ما الف هـذه الهواية ، وتفـرغ لـدراسة الادب العربي : القديم والحديث ، والآداب العالميـة ، ويرجـع الفضل في ذلك الى مساعدة وتوجيه أبيه وأخيه .. يقول محمود تيمور : « لقد اثار كتاب الف ليلة وليلة ميلي الى دراسة امثاله ، فأمدتني مكتبة ابي بما اطمح اليه ، واذكر انه كان فيما قرات بعدئذ مـن كتب الاسمـار ونـوادر الاخباريين ، كتاب أعلام الناس بما وقـع للبرامكة مـع الناس .. وكتاب : نفحة اليمن بما يزيل الهم والشجن ، وغيرهما من النظائر والاشياء .. » .

كما نصحه شقيقه محمـد تيمور بقـراءة كتاب « حديث عيسى بن هشام » للمويلحي ، وقصة « زينب » لهيكل ، فقرأهما الى جانب ما قراه لاشهر الادباء الاجانب الذين تأثر بهم ، فقد تأثر بموباسان في الادب الفرنسي ، وبتشيكوف وتورجنيف في الادب الروسي .

وكان اديبنا حريصا على حضور الندوات الادبيـة التي تعقد في منزل الاسرة سواء اثناء اقامتها في حي بـاب الخلق ، او في ضاحية عـين شمس ، وكانت هـذه الندوات ملتقى للكثيرين من رجالات الفكر والادب والعلم ، وفي مقدمتهم : الشيخ الامـام محمد عبـده ، والشيخ الشنقيطي والبارودي وسواهم .

وفي الواقع ، ان هـذه الندوات كانت عاملا مـن عوامل تكوين ثقافة محمود تيمور ، الـى جانب قراءاته ودراساته للادب العربي والآداب العالمية ، مما ساعد على تفتح موهبته الادبية ونضجها .

وبدأ تيمور حياته الادبية بنشر مجموعته القصصية الاولى ، وعنوانها « الشيخ جمعة » عام ١٩٢٥ ، والقصة التي سميت المجموعـة باسمهـا تمثـل صورة وصفية لشخصية تنتمي الى ريفنا المصري وتعكس فلسفتها فـي الحياة ، وهي من أوائل القصص التي كتبها اديبنا فـي حياته ، وكانت مكتوبة باللغة العربية الدارجة ، ولكنـه

تناولها بالتجويد من حيث التعبير اللغوي والمعالجة شأن ما فعل في كثير من بواكير قصصه ، ونقتطف هنا عبارة جاءت في خاتمة القصة بعد تعديلها : « وللرجل حديث عن ايام شبابه لا يمله السامع ، فكثيرا ما انطلق يصف هذا العهد .. ووجهه مشرق بتلك الذكريات الخالية ، وعيناه تلمع فيها أحلام الفتوة والصبا ، يفيض من ذلك كله بتلك السذاجة الريفية الصافية .. » .

وفي عام ١٩٢٦ اصدر تيمور مجموعته القصصية الثانية بعنوان « عم متولي » ، وتلتها المجموعة التي تحمل عنوان « الشيخ سيد العبيط » عام ١٩٢٨ . ثم توالت اعماله الادبية ، عملا بعد آخر ، وهكذا ظل يواصل الابداع الفني طوال سني حياته .

خصائص وسمات

لقد كان اديبنا الكبير يستمد احداث وشخصيات معظم قصصه ، ان لم يكن كلها ، من الواقع الذي يدور حوله. كما كانت قصصه تستند الى خياله الخلاق ، ورغم هذا الخيال ، الا ان ادبه يتصف بالواقعية ، ففي قصصه ورواياته نجدها تعتمد على تصوير العادات والتقاليد والاماكن مع تحليل العواطف الانسانية .

ولعل قيمة الاعمال الادبية لشيخ القصة المصرية تتجلى من واقعيته الانسانية التي تبدو واضحة في قصصه ورواياته ومسرحياته .

وقد اشتهر تيمور باسلوبه الذي يتميز بمذاق شيق سواء في اللفظ او العبارة ، فهو اسلوب اديب فذ ينفرد بخصائصه ولا تخفى ملامحه .. ففي احدى قصصه وعنوانها : « صندوق الذكريات » جاءت العبارة التالية : « وعندما استفقت من غفوة القيلولة لم اجد في نفسي رغبة في مبارحة الدار ، فقد كان عملي صباح اليوم في الوزارة شاقا اجهدني ، فآثرت الاعتكاف في امسيتي انشد الراحة والاستجمام . وكنت احتفظ بصندوق اطلقت عليه اسم « صندوق الذكريات » جمعت فيه أشتاتا من الصور والتذكارات من مخلفات الماضي ، احتفي بها واعتز .. » .

وهذه القصة كسائر قصصه لا تخلو من عنصر التشويق الذي يعد ركنا طبيعيا من سياقها ، وهي تشد القارىء الى متابعة قراءتها في انتباه ونهم .

وقصص تيمور تمتاز بوحدتها الفنية ، فأديبنا كان يجعل همه مقصورا على ابراز الفكرة الاساسية ، فيحصر عمله في جوهر الموضوع بعيدا عن التفاصيل الزائدة والتأملات والمواعظ ، مع عنايته برسم الشخصيات وبراعته في التصوير والتحليل ، واهتمامه بأن يكون لكل قصة معنى لكي لا تكون لغوا لا جدوى له .. يقول عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في استقباله لمحمود تيمور حينما اختير عضوا بالمجمع اللغوي ـ مجمع الخالدين ـ عام ١٩٤٧ : « .. وسبقت انت الى شيء لا اعرف ان احدا شاركك فيه في الشرق العربي كله الآن . واذا ذهب احد مذهبك ، او جاء فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع ان يتفوق عليك ، لانك فتحت له الباب ، ومهدت له الطريق ، ويسرت له السعي واتحت له ان ينتج وان يمتاز وان يتفوق . هذا الذي تفوقت فيه وامتزت وسجلت به لنفسك خلودا في تاريخ الادب العربي لا سبيل الى ان يمحي هو القصص على مذهبه الحديث في العالم الغربي .. وانك لتوفي حقك ، اذا قيل انك اديب عالمي بأدق معاني هذه الكلمة واوسعها .. » .

اما المستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس فيقول : « يسمو محمود تيمور عن الكاتب الروائي المجرد الى مصاف الفلاسفة والادباء ومعلمي الثقافات بما يقدم من امثلة انسانية ترمي الى اهداف رفيعة .. » .

الاديب لا يموت

حقا .. لقد استطاع اديبنا الكبير ان يرسم لنفسه سلوكا انسانيا رفيعا لم يحد عنه على امتداد سني عمره منذ جرى قلمه يصور الحياة ، ويعبر عنها ويحللها في اعمال ادبية اتسمت بالواقعية الانسانية ، وبالاصالة والصدق والعمق .

ان محمود تيمور رائد القصة القصيرة فيما كتب بمفهومها الحديث في الآداب الاوروبية ، وفيما اسدى الى ادبنا العربي عبر نصف قرن مضى ، كان انسانا كبير القلب ، سمح النفس ، مرهف الشعور ، فلا غرو ان التفت حوله كل القلوب والنفوس تحوطه بالحب والاعزاز .

وكيف لا ، فقد كان الاديب الاستاذ محمود تيمور مؤسس مدرسة ادبية تخرج فيها اكثر من جيل من كتاب القصة .

واذا كان قد فارقنا للقاء ربه ، الا ان محمود تيمور الاديب سيظل خالدا في تراثه الادبي الذي يعتبر منارة ملهمة وهادية في عالم الادب .

مصر الجديدة — عبد الرحمن شلش

الـــم

انـــي تعثرت ، وكـــم برغم
أيقظته في خطوتـي الغاديه
هـذا أنـــا تحملني غيمــة
كحلية الـــى الربـــا الماحيه
هذا أنا فـــي عنق أسطورة
قـلادة ... لكنهـا باكيـــه

حلب — علي الزيبق

برغم قيظ الظهيرة الذي يحرق خلايا جسدي .. ويعجن بالعرق اللزج ثيابي ولحمي .. ارحل اليك .. أبلغ اسوارك .. اتوقف بخطاي اللاهثة عندها .. ازرع قدامها في الاسفلت الذي يبخ الصهد ، قدمي .. قامتي لا تورق ظلا .. واسوارك ترمي بظلها وراءها .. اناديك .. يرتفع الي من فوق الاسوار صمت اخرس .. انزع قدمي واتحول الى الباب .. مغلق بعناد.. يواجهني بالرفض والجهامة .. اسألك : هل انت الذي ترفع الصمت الاخرس فوق اسوارك .. وتجعل الرفض والجهامة واجهة لبابك .. ام تراها حسناؤك ؟..

اعرفها .. منذ بدات ترصد خطاك ، وترقب اللحظة التي يقوى فيها غصنك ، ليقدر على الانتقال الى ارض تكون كلها ارضك ، وهي تخاف ان يحتويك غيرها ، ولو كانت الارض التي نبت بتربتها ..

لم تعرف هي ، ما جرى قبل عشر سنين ، حين انفصل غصنك عن شجرتنا الكبيرة .. هل تذكره انت ؟.. نزعتك اهواؤك.. وطوحت بك انحرافاتك الى ارض غريبة .. اسرع ابوك يبحث عنك كيما يعيدك الى ارضك .. انصرفت امك تبكيك .. اقسم جدك ان يمنعك من دخول البلدة ثانية ..

وقال ابوك : لماذا لا نكتب لاخيه ؟..

قالت امك : سوف يحزنه هذا .. انت تعرفه ..

في ذات اليوم ، ودون ان اعرف ما انتهى اليه امرك ، كتبت لابيك رسالة قلت له فيها : قل لاخي اني اريد لشجرتنا ان تكبر .. وان يتحول كل غصن فيها لحظة يقدر له الانفصال عنها ، الى شجرة اخرى كبيرة .. وقلت : ذكره يا ابي بما كنت اقوله له وانا انظر الى شجرة التوت التي تقوم امام بيتنا .. تحتويه بظلها .. وترمينا من اغصان لها تمتد فوق سطحه ، ببعض توتها .. كنت اقول : سوف تبقى شجرتنا مثل هذه الشجرة .. تتسع دائرة ظلها .. وتكثر ثمارها . بل ربما صارت اكبر منها ..

لم تسمع كلامي هذا ، اذ كنت بعيدا عن البيت ، سادرا في غيك .. لكني اعدته عليك يوم سمعت بخبر قطع شجرتي تلك .. قلت لك وانا اخفي عنك دموعا تغرق امتداد البصر في عيني : كنت اريد لها ان تبقى مكانها .. ليظل حضورها يعكس الصورة التي ارسمها في خيالي لشجرتنا الكبيرة .. وقلت لابيك والحزن يثقل نبرات صوتي : لماذا لم تدفع لاصحابها الثمن الذي ارادوه ؟.. قال : لم يرغبوا في



بقلم اسماعيل علي اسماعيل

بيعها .. هم اصحاب الارض ، وارادوا ان يبنوا بيتا في مواجهتنا.. قلت : سوف اكره البيت الذي سيقوم مكانها .. وربما أقلل من زيارتي للبلدة حتى لا يصدمني غيابها .. وقلت لك بعدما لاحظت دهشتك : هذه الاشياء تنزع في اعماقي .. وزوال بعضها يزلزل اشياء اخرى كثيرة . بل يزلزل كياني .. قلت لي : هذه الاشياء لا تعني سوى انها اشياء .. ما دخلها فيما يقوم بداخلك ؟..



اردت جدالك .. لكني خشيت ان تهدم اشيائي التي احتفظ بها داخلي .. وقلت في نفسي : انت ذاتك شيء من تلك الاشياء .. غصن بعدما انفصل عن الشجرة الكبيرة اقتطعت له من ارضي قطعة زرعته فيها .. ليقوم شجرة اخرى داخل اسواري .. سورت عليك كي لا تقتلعك اهواؤك ثانية .. وتدفع بك الى ارض بعيدة ..

كلما ذكرت انفصالك عن الشجرة الكبيرة لاول مرة .. تعتريني رعدة .. يومها قمت في اجازة .. وسافرت الى المدينة التي كرهتها لاجلك ، برغم حبي القديم لها .. قالوا لي : اجتذبته هواية الرسم .. وهو ينتقل من مدرسة لاخرى .. وقال ابوك : رايته يدخل مدرسة بنات فانتظرت ساعة ثم دخلت اليه .. وجدته وسط المدرسات يرسم لوحة .. وكان يرتدي بلوزة .. لم يلمح ابوك الموجة الرمادية التي اكتسحت وجهي .. ولا شعر بالعاصفة التي قصفت فروع شجرتي الصغيرة .. ولا راى الشقوق التي تشققت ببطن ارضي .. قلت له : لن اعود بدونه ..

نهار كامل وانا اجوب الشوارع افتش عنك .. وقلت في نفسي وانا الح التعب يعتصر وجه ابيك : فلنبيت الليلة في البلدة ونعاود البحث غدا .. وقلت لامك وهي تضع امامي الفرخة التي ذبحتها لي: لن آكل شيئا .. يكفيني كوب شاي .. وقلت لها لن اعود بدونه .. تدخل ابوك قائلا : رغبتك هذه سوف تمنع عنا المبلغ الذي ترسله لنا .. نظرت الى وجهه .. رايت قطرات عرق خفيفة تنتشر فوق جبينه .. وددت لو تقدمت منه ولعقتها بلساني .. قلت له : ضعه لي لن يحرمكم من شيء .. ما يتبقى من مرتبي بعد نصيبكم سيكون لي وله .. لا بد ان يكمل تعليمه .. قررت انا الآخر ان اتم تعليمي

الجامعي .. اشرق وجـه امك .. وشعرت بالدموع تتحركوراء جفونها .. قلت لها : انا اعرفك .. تودين ما اود .. قالت والدموع تلتهم البسمة التي تراقصت فوق شفتيها: اخاف ان يغضبك.. بربك لا تغضب منه ان فعل يوما ما يضايقك ..

وذهبت الـى جدك فبادرني : اصرارك علـى اصطحاب اخيـك لا اوافقك عليه .. قلت لـه كنت اظنك ستباركه هذا .. قال : الولد عاق .. دهشت اذ يقول جدك هذا .. وقلت في نفسي : كيف تكـون قطعة ارض واحدة.. بعضها خصب وبعضها الآخر جدب ؟.. ثـم ان الشجرة الواحدة تثمر كلهـا او لا تثمر .. وقال جدك : يكفي مـا ترسله لابيك .. ولو ادخرت شيئـا مما يتبقى فربما ينفعك في غدك .. ضحكت رغم اني لا اضحك وانـا جالس اليه .. وفكرت ان اصف له تصوري .. لكنـه اسرع يقـول وسحابة معتمة تغطي وجهه ، اتمنى ان يكون طيبا ..

نسيت كلام جدك رغم انـي لا انسى له كلاما .. الـى ان ذكرتني انت به .. لم تقصد ذلك .. مـا صنعته ليلتها اعاده الى ذهني . بل اعاد جدك نفسه بكل وجوده ، الـى غرفتك التي كنت اقف ببابها ، انظر تحت السريـر .. كانت عينـاي متحجرتين وهما مثبتتين على الورقة الملفوفة ، التـي دسستها انت تحت سريرك .. لم يكن دخولي الغرفـة رغبة في البحث عـن شيء .. عادة اعتدتها لاتملى الرسوم التي يصورها قلمك .. وتقديرات اساتذتك التي يضعونها باقلامهم الزرقاء في شكـل مميز ، كانه صورة اخرى ..

شدت الورقـة الملفوفة نظـري اليها .. اذا لم تكن دفستها كلهـا تحت السرير .. حدقت فيهـا .. وعيناي تقرآن انها لمحل حلـوى .. وتكتشفان انها مبقعة ومنتفخة .. ترامى الي حفيف حركة مـن ناحية الركن المقابل .. حولت بصري الـى الركن .. فوجئت بجدك .. تعلـو وجهه نفس السحابة المعتمة التـي ظللته ليلـة كنت معـه اتحـدث بخصوصك ..

لم اخف برغم يقيني انـه موجود في الركن المقابل .. تفصلني عنـه خطوات .. ورغم اني اعرف انه مات منذ عام .. تركت عينـي في حضن وجهه .. طوفت بهما فوقه علـى امسح السحابة المعتمة التي تظلله .. واذ لمحت السحابة تنحـدر الـى عينيه .. وتتحول فيهمـا دموعا


اسماعيل علي اسماعيل

●

حبيسة .. سارعت الى الورقة .. فربما يكون خاب حدسنـا مددت يدي وانا احاول بابتسامتي التـي جذبتها الى نفسي ، ان اسيطر على رعشة اصابعي .. لم تغب البسمة برغم ما تكشف داخـل الورقة .. بقيت مكانها .. ربما لاني لـم اكـن اعرف اين تستقر .. اهـي تتربـع فوق شفتـي ؟.. مفروشة فـوق وجهي ؟.. ام انهـا تملـك نفسي كلها ؟.. لكني بعـد لحظة ، تبينت ان وجودها حينما تكون غير مبرر.. والدموع بدات تتسلل مـن عيني جدك ساقطة فوق الخدين .. انت لم تره مرة يبكي .. وانا الآخر برغم قربي منه ، وملازمتي له ، لم أر في عينيه يوما دمعة واحدة ..

وتذكرت الدموع التي سقطت من عيني امك ، لتغـرق البسمة التـي اشرق بها وجهها ليلة ذهبت لابحث عنك ، فاطلقت دموعي .. وبعدمـا غاب عني جدك ، وعدت الى غرفتي، ورجعت انتمن الخارج الى غرفتك، واغلقت بابها عليك .. بقي بداخلي صوت يلاحقني .. يسالني : لمـاذا انت فعلت ذلك ؟.. لم يكن صوتي، ولا صوت امك، ولا هو صوت ابيك، ولا صوت جدك .. هل تعرف كان صوت مـن ؟.. كان صوتـك .. لا تعجب .. فانت بداخلي مثلما انا داخل ذاتي .. انت بكـل كيانك ، حشرتك باعماقي ، وسورت عليك ، الى ان ينمـو غصنك ، ويصبـح شجرة وارفة ..

كان صوتك يلاحقني.. يسألني: لماذا انت فعلت ذلك ؟.. ولان كيانك القائم بداخلي لـم يجب بشيء .. قلت في نفسـي : ربمـا اغرقتـه دموعي .. وتسللت اليه من زوايـا نفسي ، سحابات اصمت سمعـه ، فما عاد يسمع حتـى صوتـه .. قلت : لماذا لا اتوجه بسؤالك الـى كيانك الآخر ، القائم خارج نفسي ، ربما يكون وجوده خارجها جنبـه تلك السحابات التي أحاطت بغلالاتها الوجود الداخلي المعادل له ..

وسألتك في الصباح ، بعـد ان خرجنا الى الشارع : كـان تحت سريرك ورقة ملفوفة ..

قبل ان اكمل .. اجبتني : نعـم .. اعطتها لي .... بها حلوى ..

حدقت في وجهك علي المح شيئـا .. بالضبط لم اكن اعرف ما اريـد ان آراه .. لكني كنت اريد ان ارى شيئا .. ربما يفسر كلامـك .. يوضحه .. يصحبه .. قلت انت

اليهـا

((.. اليها في ارض الغربـة))

●

هـل تحفظين محبتي ودادي ... يـا منيتي في غربتي وبعادي
امـا انـا فكما عهدت صبابتي ... متجـددا ايقادهـا بفؤادي
والشوق يحملني اليك فراشة ... مجنونـة بالنـار والتـرداد
كم قد بعثت مع النسيم ملاحني ... ودسست في طياتـه انشادي
أبدا أبث لواعجي لك والدجى ... يخفي رؤاها في الظـلام الهادي
تهفو شحارير الربيع للحنها ، ... وتسرهـا للمنحنـى والوادي
لكنني اخفي الحقيقة في الهوى ... خوفا مـن العذال والحساد
فاقول ان ((سعاد)) وحي قصائدي ... والحب في قلبي لغير ((سعاد))
في اسم غيرك استجير تموهـا ... خوف الوشاة، وأنت أنت مرادي
ان غبت عني، فالخيال مشاطري ... عبء الهوى في يقظتي ورقادي

البحرين — احمد محمد الخليفة

ما قلته ، وبقيت مستمـرا تنظـر امامك .. رجعت الى كيانك الآخر الذي يسكن بداخلي .. عساي اجد عنده ما افتقدته فيك .. فوجئت به ميتا .. روعت لموته الفجائي .. وانا ابكيه وجدتني اقول لـه كان عشاؤنا جبنة وفولا .. ولو انـك اعطيتني قطعة حلوى لاذابت الملوحة التي ملأت فمي .. واطفأت السعير الذي اشتعل بمعدتي .. كنت اريد ان احرك سكونك بصوتي .. فلم يهتز غير كياني .. ولاحظ كيانـك الاخر الذي يمشي الى جانبي ، تلك الهزة التي ترعش بدني ، فاخـرج منه صوتا يقول : انت تخاف علـي من استمرار علاقتي بها .. وتكـره ان آخذ منها شيئا .. لهذا لم اشأ ان اعطيك من الحلوى ..

لم اعلق بكلمة .. كنت مشغـولا بجثتك الممددة داخلي .. حزني على موتها الفجائي مـا برح يهزني .. وتفكيري في مكان ادفنها فيه يصرفني عما حولي .. وقلت في نفسي : لماذا لا اعطي صاحبتك التـي تؤثـرك بالحلوى هذه الجثـة ؟.. تحفظها عندها ، الى ان ينتهي مقامك عندي .. وتنتقل الى ارضهـا .. ترعاها وترعى جثتك التي سبقتك اليها..

ولقيتكما معا ظهر ذات اليوم .. بادرتني كعادتها بحديثها عن غدكما .. خوفها عليك مما يشغل عينـاك عنها .. اشفقت عليهـا ان ارميها بجثتك .. يكفيها كيانك الماثل بيني وبينها .. ربما تكون بداخلة جنـة اخرى لك ، سوف تكتشفها حـين يتم لها امتلاكك .. وربما لا تكـون لك غير هذه الجثة .. وهي مـن نصيبي وحدي .. وقررت ان تبقى جثتك مكانها .. داخل احشائي .. لتكون قريبة منـي حين تبعد انت عني .. وقلت لها اطمئنها: لا تخافي .. سأحفظه لك .. وقالت لي عوده ان يعمل ليستطيع ان يقوم في الغـد بما سوف يلقى عليـه .. فقط .. لا تدعه يعمل ..

لم افهم يومها ما كانت تعنيه .. لكنه الآن يتكشف لي.. كان قصدها ان اعمل لاوفر لك حياتك التـي تريدها .. حتى اذا ما تحولت اليها كنت تعرف كيف تهيء لهـا هـذا العش الانيق ، الذي تتسمر امامـه قدماي .. عشر دقائق وأنا جامـد مكاني في مواجهته .. قيظ الظهيرة احرق شعر رأسي .. والهب قفاي وظهري .. فلا شيء يقيني اللظـى .. شجرتك تمـد ظلها داخـل اسوارك .. والاسفلت يفصد سواده .. وكتل الطين التي زرعوها مكـان شجرة التوت تسد ما بين جفوني.. وجنتك بداخلي .. يعبث الآخرون بها .. أحاول دفعهم عنها .. اقول لهم : برغـم انشغالـه سيقف الـى جانبي في محنتي .. قال آخر مـرة لقيته بهـا وهـو يربت على ظهر حسنائه تقف الـى جانبي في كـل اعمالي.. لها كل الجميل.. تقولون صارت ارضه .. أقول لكم كـان غصنا وأنا الذي وفرت له النماء .. وتعالوا اليه تشمون فيه رائحة طين ارضي .. حتى جنته مـا تـزال بداخلي .. ولن اسمح لكم بالعبث بها .. وانا لست ذاهبا اليه لانـال اجرا .. انه يعرف ذلك .. مثلمـا يعرف حاجتي الآن اليه .. واذا كان لا يلقاني .. فليس لانه لا يريد .. يكون نائما حين أذهب اليه ظهرا .. وخارج البيت حين أسأل عنه ليلا.. ويكون مشغولا بعمله صباحا.. فهل هذا ذنبه ؟.

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل



نشأة الحركة العربية الحديثة

تاليف محمد عزة دروزة ـ ٥١٠ صفحات ـ منشورات المكتبة العصرية بيـروت

الاستاذ محمد عزة دروزة من رجالات الرعيل العربي الاول ، انجبت به مدينة نابلس في اواخر القرن المنصرم ، ونشأ عصاميا ، دؤوبا ، متقد الذهن ، خصيب الفكر ، حتى غدا من اقطاب الحركة العربية ، فعرفته « الفتاة » في العهد الفيصلي عضوا فعالا فيهـا وامينا لها ، وعرفـه المؤتمر السوري امينا لسره ، وقال تاريخ القضية انه هو الذي تـلا منذ ثلاث وخمسين سنة من شرفة بلدية دمشق بيـان المؤتمر السوري المؤذن باستقلال سورية بحدودها الطبيعية والمناداة بفيصل بن الحسين ملكا عليها . ولست هنا اتحدث عن عزة دروزة بعد ذلـك استاذا يبث الوطنية في نفوس تلاميذه ، ولا طليعة مؤسسي حزب الاستقلال العربي في فلسطين ولا معتقلا ومبعدا ، ولا اتحدث عن دوره الرئيس الاهم فـي الثورة الفلسطينية الكبرى . ولا عنه مفسرا للقرآن الكريم ، ومؤلفـا للعديد من الكتب التاريخية والقومية ، ولست اتحدث عنـه شيخـا جليلا في همة دونها همة الشباب ، ينتج انتاجا غزيرا ثرا ، ويجيـد فن الحياة المعطاء شيخوخة مباركة وهو فن الذين اوتوا حظا وافرا مـن ذهن مخصاب ، وطاقة عجب عجاب ، ونفس مطمئنة تنعم بحلاوة ايمان لا يكدره طمع ، ولا يشوبه فزع .

وانما يهمني اليوم ان اتحدث عن كتاب جديد الفه الاستاذ دروزة اسمه « نشأة الحركة العربية » في اكثر من خمسمئة صفحة حافلـة بتاريخ ، ومذكرات ، وتعليقات وذكريات يدونها « واحد مـن الذين عاشوا في حقبتها وشهدوا احداثها واسهموا فيها وعرفوا بعض مؤثراتها وتاثيراتها » ، كما يقول في مقدمته . نعـم ان الاستاذ دروزة ممـن شاهدوا اشراقة القومية وكان في الألى صنعوا تاريخها ، ترفده فـي التاليف عنها ذاكرة سخية وقدرة علـى استكناه خبايا الاحـداث ، وسلامة ادراك لاسبابها ، وسداد منطق في تحليل دواعيها .

كان مدخل الكتاب بحثا عن اهداف الفكرة العربية الحديثة وعن اصالتها وعن السلطان العربي في مختلف العصور ، وعن عناصر القضية العربية وقوتها وتفنيد القول بان المهاجر العربية في الشام والعـراق والنيل وشمال افريقية هم خليط من شعوب مختلفة والا وحدة تجمعهم، مبرهنا على عراقة العروبة في هذه البـلاد « لان الفينيقية والكنعانية والفرعونية والآشورية والسريانية والارامية والبربرية موجـات مـن جزيرة العرب القديمة ، واما الطراء الشرقيون والغربيون الذين طرأوا على البلاد العربية بعد الاسلام فمن الطبيعي ان يكونوا عربـا تاريخيا وقوميا وان لم يكونوا عربا جنسا ودما » ولا تفوته الافاضة في الحديث عن اليهود واليهودية والقول : « وان مظهر اليهود الجديد وحلولهم في فلسطين هما ضد الطبيعة والتاريخ والحقائق ومآلهم الزوال ، فتعـود فلسطين الى صبغتها العربية التامة ومهمتها الجغرافية الخالدة التـي هي وصل بلاد العرب الاسيوية ببلاد العرب الافريقية » وفي هذا كلـه بنى صاحبنا نظريته في القضيةالعربية على وحدة الوطن واللغةوالمصلحة.

ويجيد الاستـاذ دروزه الحديث عـن القومية والاسلام ، وتوكيد مهمـة الجنس العربي العظمى و « شانية هذا الجنس فـي الاسلام » على حـد تعبير المؤلف « وكـون الفخر القومي بالاسلام ونبي الاسلام وقرآن الاسلام وحضارة الاسلام فخر عـام للعرب مسلميهم ومسيحييهم بـل وملحديهم » ولا يغفل عن الرد على قول بعض المثقفين : « ان الدعوة الى التزام الاسلام تعني الرجعة الى الوراء اربعة عشر قرنا فالنظام شيء وتطبيقه شيء آخر .. وعدم تطبيق نظام لا ينتج عنه دائما عـدم صلاح ذلـك النظـام » .

وحول انبعاث الحركة العربيـة قبـل الدستور العثماني يتحـدث المؤلف عن ملامح اليقظة العربية في سورية ومصر ويؤكد اثر امراء بني معن « فالامير فخر الدين الثاني هـو اول حاكم عربي ، بعد الدولـة الاموية جمع جميع بلاد الشام تحت حكمه بحيث يصح القول بحق ان عهده الذهبي الذي امتد نحو عشر سنين يجب ان يعد من اقوى ملامح الحركة العربية » ثم ملامح تبـدو في الصراع بين الامامة الزيديـة والدولة العثمانية في اليمن ، وفي الحركـة الوهابية ، وفي الحركـة السنوسية وفي الحركة المهدوية في السودان وفي الحركـة العرابية . ثم يتحدث عن التكتلات والجمعيات التي كان لها اثرها في الوعي العربي العامي والادبي والسياسي والوطني ويسرد غررا من القصائد التـي نظمها شعراؤها ويسمي اقطابها وينشر بياناتها فكـان ذلك من امتع واوسع ما يمكن ان يكتب في هذا الباب .

ولعله من افيد ما في الكتاب تلـك الصورة الاجمالية لتنظيمات الدولة العثمانية قبل اعلان الدستور ١٩٠٨ وقد جمل هـذا البحث الفاض بذكرياته الخاصة منذ كان موظفا في دائرة بريد نابلس (١٩٠٦ـ ١٩٠٨) قائلا « وكنا نقرأ ما كان يتسرب الى نابلس من الصحف العربية الممنوعة غفلة او خطأ وكانت من اسباب وعينا في شبابنا » وكان مـن تمام « موسوعية » البحث ان اورد المؤلف نص الدستور العثماني ..

وتبدو صفة الشمول العربي في الكتاب بالحديث عن صلات البلاد العربية السياسية بالدولة العثمانية قبيل اعـلان الدستـور ابتداء بالمغرب الاقصى فالجزائر فتونس فليبيـا فمصر فالسودان فالجزيـرة العربية فالعراق فبلاد الشام ثم ما كان من تغييرات في احوال هاتيـك البلاد العربية خلال السنين العشر التي تلت سنة الدستور ١٩٠٨ .

على ان بيت القصيد او لب اللباب لهذا الكتاب هو البحث البالغ الاهمية عن الحركة العربية بعد اعلان الدستور وفيـه تساعف المؤلف ذاكرة سخية وسابقة كريمة في هذا المضمار وقد استشهد في هذا الفصل بقصائد لشوقي والكاظمي وفؤاد الخطيب وحافظ والزهاوي والرصافي والمطران وسعيد شقير ونقـولا رزق ونقـولا فياض وفارس الخوري والفلاييني .. حتى اذا تحدث عـن بوادر استعلاء العنصر التركـي والتشاد العربي التركي اورد قصائد جمة لكثيرين ممن ذكـرت ولامين ناصر الدين ويوسف حيدر ونجيب حداد وولي الدين يكن والشهيـد عمر حمد والقروي وسليمان التاجي والرافعي والعبيدي وابـو ماضي والزركلي والشيخ عبـد الرحمن القصار وسليـم سركيس وجبرائيل دلال . وحين تحدث بعد ذلـك عن التكتل العربي كان الثبت الحجـة سردا لها ، واستكناها لاسرارها ، وذيادا عنها ، ودفعا لكل ظنة الصقت بها ، ومن هذا القبيل ، وما شفى به الغليل ، اثباته انه ليس فـي النصوص والوثائق التي وقعت بيد السفاح جمال باشا حول اللامركزية الا كل ما يشرف الحزب وما يشهد باخلاصه لبلاده وقوميته وللاهداف الاستقلالية البريئة من الاحتلال والاستعمار ، وكذلك الشان بالنسبة الى ما اورده كتاب « الايضاحات » عن علاقة الشهيد شفيق المؤيـد

بسفير فرنسا في الاستانة او الاعترافات المعزوة الى الشهيد عبد الغني العريسي .

وطبيعي ان يجيء حديث الاستاذ عن حزب (العربية الفتاة) التي هي « انشط تنظيم عربي قومي سري واوسعه واشمله واكثر اثرا في سير الحركة العربية الحديثة » ، حديث العالم الخبير ، لانه كان احد اركانها وامين سرها في العهد الفيصلي ، وقد ناقش ما قيل عن تاريخ تأسيسها نقاش المطلع المنطيق .

واقول هنا استطرادا انني كنت اعرت صديقي واخي الكبير المرحوم الاستاذ عوني عبد الهادي احد مؤسسي « الفتاة » كتاب « القضية العربية » للاستاذ احمد عزة الاعظمي ، ولما قرأ في الجزء الثاني منه ان الفتاة قد تألفت في بارس سنة ١٩٠٩ صحح بخط يده ذلك التاريخ وجعله ١٩١١ .

ولي بعد ذلك ملحوظات لا تمس صميم بحوث الكتاب . فما اكثر الاغاليط المطبعية التي لم ترد في التصويبات والتي قد تخفى على اللبيب ، ولا سيما الاسماء الخاصة التي لا يجوز ان تجيء محرفة فالبارولي هو الباروني ، وسليم طبارة هو طيارة ، والدكتور حسن حيدر هو حسين حيدر ، وربيحي كاظم هو يحي كاظم ومحي الدين الجيان هو الجبّان والديواني هو الدبوني ، والشيخ يوسف البستاني هو الشيخ يوسف النبهاني .

ثم ان كثيرا من ابيات الشعر في القصائد الواردة في الكتاب جاءت مختلة الوزن. وقد اورد المؤلف قصائد لشوقي مثلا في مدح عبدالحميد، وكانت واحدة منها تكفي ، وكثيرا ما قال : ان هذه القصيدة لشاعر مصري ، وتلك لعراقي ، وهاتيك للبناني مع ان ناظميها معروفون ، وثم اناشيد عرفت للرصافي ولفخري البارودي ولحليم دموس ولانيس الخوري المقدسي ، ولعمر حمد ، على انه نشر انشودة الاستاذ الفلاييني « سائلوا عنا العصور الأولا » مرتين اثنتين !

وفي الحديث عن ازدهار الحركة التعليمية بعد محمد علي قال : « وكان لوزيرين نابهين بنوع خاص توليا معارف مصر في اواسط واواخر القرن التاسع عشر اثر مذكور » واني اتساءل ما يمنع استاذنا دروزه من تسمية هذين الوزيرين ؟ واورد نشيدا قال انه لشاعر سمى نفسه عبد الله بن قيس ولعلم يهم القارىء ان يعلم ان عبد الله بن قيس هو توقيع الشهيد الشاعر الاديب ، والكاتب الخطيب ، الامير عارف الشهابي في ما كان ينشره في المفيد او في لسان العرب .

وقد قال عن مجلة لسان العرب انه اطلع على مجموعتها وليس عليها اسم مصدرها ولا صاحب امتيازها وانها بعد ان توقفت صدرت بعدها مجلة المنتدى الادبي ثم قال « ونرجح ان هذه المجلة اصدرها المنتدى الادبي وان المجلة الاولى توقفت بسبب قاهر وربما اغلقتها الحكومة الاتحادية بسبب لهجتها ومنشوراتها القومية » واستند المؤلف في معلوماته عن جمعية « العلم الاخضر » الى ما نشره امين سعيد في الجزء الاول من كتاب « الثورة العربية » ، واخذ عنه اسماء المؤسسين ولعل اسم الدكتور اسماعيل الصفار قد سقط سهوا ، مع ان الخبر اليقين عن مجلتي لسان العرب والمنتدى الادبي وعن جمعية العلم الاخضر يمكن ان نستقيه مما اورده الاستاذ احمد عزة الاعظمي في الجزء الثالث من كتاب القضية العربية وفيه يقول : « واهم عمل قامت به جمعية العلم الاخضر هو اصدار مجلة لسان العرب وقررت ان تناط ادارتها وتحريرها باحد اعضائها المؤسسين للجمعية ، مدون هذه القضية ، احمد عزة الاعظمي ، فصدرت المجلة وقد صادفت صدورا رحبة من العرب القاطنين في الاستانة ولا سيما طلبة المدارس .. ولم تمض عليها بضعة اشهر حتى انتشرت انتشارا هائلا في كل بلد يقطنه الناطقون بالضاد .. وقد كان برنامج المنتدى الادبي اصدار مجلة تبث دعايته وتنشر افكاره فلما رأى انه قد صدرت مجلة لسان العرب اخذ يسعى للاتفاق مع منشئها في ان تكون لسان حاله الناطق باسمه على شرط ان يكون اسمها « المنتدى الادبي » وتحدث عن تدخل الدكتور



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى
في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير أديب

حسين حيدر والشيخ عبد الحميد الزهراوي في اقناع منشيء المجلة وجمعية العلم الاخضر بتغيير الاسم « فاكملت لسان العرب سنتها الاولى وظهرت في سنتها الثانية باسم المنتدى الادبي الى ان حصلت المجزرة البشرية فدخلت الجمعية والمنتدى الادبي والمجلة في خبر كان » .

واستند الاستاذ المؤلف الى مذكرات عزيز بك التركي مما يستروح منه الحملة على الامير شكيب ارسلان ومع انه استدرك التهمة قائلا : « ان صح ما قاله عزيز بك » ، فما لبث حتى قال : « وليس هناك ما يبرر الظن انه مختلق » والذي اذكره ان الامير شكيب ارسلان نشر مقالات طوالا في الجامعة العربية ، والعهد الجديد ، قدع بها اباطيل المدعو عزيز بك ، واثبت تزويره واختلاقه بحجة دامغة وليت استاذنا عزة رجع الى تلك المقالات قبل ان ينقل عن عزيز بك ما نقل .

وختام القول ان الاستاذ عزة دروزه قد حقق غايته من تأليف موسوعته القومية الثمينة واسدى خدمة جليلة الى الفكرة التي قضى نصف قرن في العمل في سبيلها فجاء كتابه مفيدا جدا « فيه عبرة وفيه تنبيه وفيه دعوة » .

اكرم زعيتر

•

معجم الاخطاء الشائعة

تأليف محمد العدناني ـ ٢٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ منشورات مكتبة لبنان ببيروت ـ دار القلم للطباعة ببيروت

مؤلف « المعجم » الاستاذ محمد العدناني ، هو استاذي الذي تلقيت على يديه دراستي في العربية ، حين كان يدرس هذه المادة في الكلية الرشيدية في القدس . غير ان الاستاذ العدناني لم يكن بالنسبة الي مدرس مادة فحسب ، بل كان أخا كبيرا ووالدا حانيا ، شارك في بناء مستقبلي وتعيين اتجاهي الدراسي ، ثم ظل بعد ذلك يرقب بعطف الاخ الكبير ومحبة الوالد الحاني ، الخط الذي سرت عليه في حياتي ، الى ان انتهى بي السير الى حيث انتهى ، واحدا من خدم العربية ، يحاول بجهد المقل ان يواكب مسيرتها ويستجلي مزاياها .

ذكرت ذلك في مستهل هذه الكلمة عن « معجم الاخطاء الشائعة »، لانبه منذ البداية الى انني لا اقف موقف المحايد من مؤلف الكتاب ، بل موقف التلميذ والصديق ، لا سيما أنني انتمي الى فئة من الناس، ما تزال تحترم المدرس وتضفي على العلاقة فيما بينه وبين التلميذ هالة من القداسة ، وترى فيها تفاعلا وجدانيا وفكريا ، وليس مجرد تلق وتلقين . فليغفر لي القارىء الكريم اذن ما قد يجد من حماس زائد للمعجم ، اذ ان من العسير على الانسان ان يفصل ما بين الانتاج وصاحب الانتاج ، خاصة حين تقوم ما بين الاثنين وشائج متينة من الفكر والوجدان .

ولا بد لي من الاعتراف بعد هذه المقدمة ذات الطابع الشخصي ، بأن استاذنا العدناني كان يمثل دائما في نفسي الشاعر الاديب ، الذي يتغنى بالجمال ويتلمسه في كل شيء ، حتى لقد « يخترعه » حين لا يجده ، وينقب دائما عن علاقة الانسان بالانسان ، ليبرز منها كل ما هو جميل يدعو الى التفاؤل والاستبشار ...

ولكن استاذنا في « المعجم » محقق لغوي رصين ، يقف على اللفظة العربية ، محللا مقارنا محققا ، مستشهدا على ما يقول بالفصيح من كلام العرب ، دون ان يركب الاخيلة المجنحة ، التي كانت تحلق به في أجواء الشعر والادب .

ولا تناقض في واقع الامر ، ما بين الصورتين ، اذ ان كلتيهما تنبثقان من نبع واحد : حب العربية ، والحرص على اثرائها والحفاظ عليها ، وصيانتها من عبث العابثين . فاللغة العربية ، شأنها شأن جميع اللغات الاخرى ، انما تتكون وتنمو وتتطور بما تخطه اقلام الناطقين بها ، من شعر وأدب وعلم . ولغتنا العربية أسهم في صنعها واثرائها ذلك العدد الكبير من الشعراء والكتاب والفلاسفة والعلماء ، الذين كتبوا بها ، وطوعوها لانماط المعرفة المختلفة .

وما استاذنا العدناني ، الشاعر الاديب ، الا واحد من هذا العدد الكبير من شعراء اللغة العربية وادبائها ، الذين اسهموا في اثراء اللغة بما انتجوه من شعر وادب .

واذ يتجه الاستاذ العدناني الى خدمة العربية عن طريق الدراسة اللغوية الرصينة ، التي ترمي الى الحفاظ على اللغة ، وتطويرها في نطاق الدراسة الواعية ، فانه انما يسلك السبيل الآخر المكمل لسبيل الانتاج الادبي ، في خدمة اللغة العربية والحفاظ عليها وتطويرها . بيد ان تطور اللغات ، كالتطور الاجتماعي ، ينبغي ألا يكون اندفاعا أهوج من صنع العابثين ، والا أدى الى ضياع اللغة ، مثلما يؤدي الاندفاع الاجتماعي الاهوج ، الى ضياع هوية المجتمع .

وفي رأيي المتواضع ، انه لا بد لمن يعملون في حقل اللغات القومية من أمرين : اولهما معرفة عميقة أصيلة باللغة وتراثها ، وثانيهما اعزاز اللغة القومية ، يصل الى حد الولاء والانتماء ، بل والارتباط العاطفي الذي يبعث على الغيرة عليها ، كما يغار الانسان الكريم على كل عزيز اثير لديه ...

والاستاذ العدناني ممن نالوا من الامرين حظا وافرا فيما أعلم واقدر . فصلته مع اللغة العربية وتراثها صلة قديمة عميقة ، استغرقت القسم الاكبر من سنيه السبعين ، مد الله في عمره ، وامتعه بالصحة والعافية . فقد درس اللغة وآدابها منذ ان كان شابا يافعا ، ودرسها دهرا ، وانتج فيها الكثير ، واتصل بروائعها واعلامها عبر سني العمر كله .

وما أشك في ان هذه المعرفة العميقة باللغة ، كانت ستجد الردف والمعين في الدراسات اللغوية المقارنة ، وعلوم اللغة الحديثة ، لو أتيحت لاستاذنا العدناني فرصة دراسة هذه المواد بأدواتها ومعداتها الحديثة، بعد ان استعين في الدراسات اللغوية بمعطيات التقنية والمختبرات ، وبالدراسات المقارنة ما بين اللغات .

اما حبه للعربية وانتماؤه اليها ، فأمر لا يقدره حق قدره ، الا طلابه ، ولو أنه حب يقوم عليه الدليل في كل منشط من مناشط الاستاذ العدناني ، وكل تصرف من تصرفاته . وما زلنا نحن طلابه القدامى نذكر كيف كان الاستاذ يفرض على طلابه في الرشيدية ألا يتكلموا بغير الفصحى ، وكيف كانت تفرض « الضرائب » على من يتكلم بالعامية ، لتشترى بها المجلات الادبية ، كي تكون زادا يستمد منه الطلاب في اللغة والادب ، في حين كانت الضريبة المفروضة تتضاعف اذا كان الناطق باللفظة العامية هو الاستاذ نفسه ، ونادرا ما كان يفعل ...

ولعل مما يزيد في قيمة « المعجم » ، انه يخرج الى أمة العرب ، وفي هذا الجزء من العالم العربي بالذات ، في وقت تتعرض فيه لغة العرب وحضارتهم وتراثهم وتاريخهم للتشويه والهجوم ، من الخارج والداخل على السواء .. فمنذ هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، اشتد الهجوم على مقومات الامة العربية بصورة لم يسبق لها مثيل ، في كتابات الغرب وبعض كتابات العرب على السواء ، حتى ليكاد المرء يحس بشكل من أشكال التنسيق والتعاضد فيما كتب هناك وما يكتب هنا . وغني عن البيان أن الامم التي تتعرض لهزيمة عسكرية او سياسية ، تكون مهيأة نفسيا لتقبل الاتهامات الموجهة اليها ، حتى حين تكون هذه الاتهامات باطلة ، ولا تمت بسبب الى هزيمتها . من أجل ذلك ، أجد في « معجم الاخطاء الشائعة » قيمة مضاعفة ، وهو يصدر في اجواء مشحونة ، وخلال فترة تتعرض فيها الامة لمحنة اهتزاز الثقة بالذات ، والتخوف من المستقبل .

ومما يزيد من قيمة المعجم ، أنه وهو بحكم موضوعه يمثل جهدا واعيا للمحافظة على اللغة ، وصيانتها من الابتذال ، يقبل بسنة التطور للمفردات اللغوية ، ولكنه التطور المنضبط بالمعرفة والعلم ، والحفاظ على جوهر اللغة ، واتصال الحاضر بالماضي ، دون تجاهل للاول ، او اهمال للثاني ، وبذا يبقى الخيط الرابط بين مدلول الكلمة التاريخي ومدلولها الحالي متصلا غير منبت . وما أخطر الدعوة الى تطوير اللفظة اللغوية ، حين يقصد الداعون الى التطوير ، قطع الصلة نهائيا ما بين دلالة اللفظة الحديثة ، ودلالتها التاريخية ، عبر سني استعمالها .

وحتى في فترة التوجس التي تمر بها الامة العربية ، وهو توجس قد يصل حد التشاؤم ، نجد استاذنا العدناني متفائلا ، كما عودنا دائما ، برغم كل الاحوال القاسية التي مر بها هو شخصيا ومررنا بها، ومرت بها بلاده وأمته . وتفاؤل الاستاذ العدناني لا يعرف الحدود ، ولا ينحصر في مواضع ، وقد يبلغ حد الحماس ، حتى في دراسة لغوية لا ينتظر بروز العنصر الذاتي فيها . استمع اليه في معجمه ، وهو يعالج مادة « الصهيوني » في الصفحة ١٤٥ ، وذلك حين يقول صهيون وصهيوني وصهيونيون ، والصواب صهيون وزان برذون ، كما جاء في « اللسان » و « التاج » و « متن اللغة » . ومعناها : الروم أو بيت المقدس او موضع في القدس . وقد قال الاعشى :

وان أجلبت صهيون يوما عليكما ... فأن رحى الحرب الدلول رحاكما

ثم يردف : « وقد تفاءلت حين وجدت حركة أول حرف في كلمة (صهيون) الكسر ، واوثر ان اجمعها جمع تكسير ، فاقول : (صهاينة) بدلا من (صهيونيين) ، ذلك الجمع الذي ارتاه صاحب متن اللغة ، لانهم لا يستحقون أن يجمعوا جمع سلامة . وارجو ان تكسرهم في معركتنا المقبلة معهم ، كما كسر اولهم (الصاد) كسر جمعهم، وسيتحقق ذلك بأذن الله لان حاستي السادسة ما عودتني أن تكذبني » .

وهذا العنصر الذاتي يمتزج أحيانا بروح الدعابة والمرح عند استاذنا العدناني ، واذا به يؤثر احيانا حتى على أحكامه اللغوية . فهو يفضل كلمة « فارة » على كلمة « مسحج » ، وهي الاداة التي يبرى بها الخشب ، لان « كلمة مسحج ثقيلة الظل ، يتعثر بها اللسان، وتخدش الاذان ، وتنفر منها الذاكرة ... لذا أرى ان نضرب صفحا عن (المسحج) ونستعمل (الفارة) ، وان كنت لا استطيع تخطئة من يستعمل كلمة المسحج، مع ان فيها ثلاثة أحرف من أحرف (السماجة) ». انظر المعجم ، باب الفاء ، المادة (٧٩٤) صفحة ١٩٢ .

ولا يستطيع المرء ان يتبين مزايا « المعجم » ، والمنهج الذي أتبع في تأليفه ، الا اذا قرأ مقدمته ، وقدرا كافيا من مادته . وهنا ينبغي التنويه بالمقدمة الكاشفة التي وضعها الاستاذ العدناني لمعجمه ، اذ انها توضح منهجه في هذا المعجم بجلاء واحاطة ودقة . والتطابق فيما بين منهج التأليف كما وصفته المقدمة ، وبين ما سار عليه المؤلف فعلا في معجمه ، تطابق تام ، يثبت التزام المؤلف بالمنهج الذي اختطه لنفسه . بل ان هذا المنهج كما بين في المقدمة ، ان هو الا وصف لما جرى عليه المؤلف فعلا في تأليف مادته ، ولا أشك في ان المقدمة كتبت بعد الانتهاء من تأليف الكتاب فعلا .

وبوسع من يتصفح « معجم الاخطاء الشائعة » ان يتبين ضخامة الجهد الذي بذله مؤلفه حين يقف على ألوان المصادر التي اعتمد عليها في تصويب الكلمة او العبارة ، فقد احتوت هذه المصادر القرآن الكريم، والحديث النبوي الصحيح ، في لفظه ومعناه ، وأمهات المعجمات ، والشعر الجاهلي الثابت النسبة ، وشعر صدر الاسلام والعصر الاموي، مع اهمال ما شذ عن قواعد الصرف والنحو ، والابتعاد عن معظم الضرورات الشعرية . واستقى المؤلف تصويباته كذلك من الكلمات التي أقرتها مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد ، وفق أمهات كتب النحو ، دون أن يكون دوره دائما دور الناقل المستقي ، اذ كان يبدي رأيه الشخصي أحيانا ، حين يكون هناك سند يعضد هذا الرأي .

والذي يعجب القارىء في منهج استاذنا العدناني كله ، أنه سار في طريق وسط دائما ما بين الالتزام بالفصيح الموروث ، والدعوة الى الجديد الذي تقتضيه حياة العصر ، فخلص بذلك من الانفلات غير المنضبط من ناحية ، ومن الجمود والتحجر من ناحية ثانية . ولذا فانه لم يتردد في رفض ما جاء على لسان بعض الاعراب القدامى ، ولم تمنعه هالة القدم من عد ما قاله هؤلاء أخطاء لا يؤخذ بها بدلا من ان تحسب استثناءات مقبولة ، يخرج بها على القاعدة العامة . وقد فعل الشيء نفسه في موقفه من المعاجم القديمة ، حين كان أصحابها يقعون في أخطاء .

ولقد كان طبيعيا والحالة هذه ، ان يدعو العدناني الى « ابقاء باب الاجتهاد النحوي واللغوي مفتوحا في وجوه علماء النحو واللغة ، تاركا الكلمة النهائية لمجامعنا الثلاثة دون غيرها لكي لا تتسرب الفوضى في لغتنا الدقيقة الخالدة » (انظر المقدمة ص ٩) .

أما الضبط والدقة ، وحسن التبويب والترتيب ، والتسهيل على القارىء ، فسمات واضحة في « معجم الاخطاء الشائعة » يقوم عليها اكثر من شاهد ودليل ... فمن ذلك وضع المؤلف الصواب عنوانا للبحث « لكي يأخذه نظر القارىء ويبقى في ذهنه ، وذكر الخطأ في الشرح متلوا بذكر الصواب مرة ثانية ، ليزداد رسوخا في الذهن » على أساس أن « الذاكرة تحتاج الى تكرار ، لكي تختزن الاشياء التي ترغب في اختزانها » . ثم وضع الاغلاط حسب ترتيب المعاجم الحديثة لكي يسهل الرجوع اليها ، مع دليل في نهاية المعجم ، يرشد المستشير المستعجل الى المادة ، بينما يبقى متن المعجم الشامل ، كما يقول المؤلف ، مرجعا للكاتب المدقق ، الذي يريد ان يحيط علما بالحقائق اللغوية من جميع وجوهها . وقد أردف المؤلف الدليل بأسماء أشهر الاعلام الذين استشهد بهم ، وأسماء أشهر مؤلفاتهم .

ومن ذلك ضبط الكلمات بالشكل التام في الغالب ، خوف الوقوع في اللبس ، وعدم تقبل الكلمات التي لم ترد في معظم المعاجم الموثوق بها ، او الكلمات الحديثة التي وردت في المعجم الوسيط دون غيره ، اذا لم يوافق عليها مجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد ألزم المؤلف

نفسه ضبط الاعلام بالشكل التام بعد التحري والتدقيق .

هذه مجرد شواهد مختارة تقوم دليلا على المنهج العامي الدقيق الذي ألزم به صاحب المعجم نفسه ، ولكن مراجعة المعجم مراجعة شمولية ، هي التي يمكن أن تعطي القارىء فكرة دقيقة عن هذا المنهج.

وبعد ، فان أي منصف للباحثين في ميادين اللغة ، خاصة اذا كان ممن مارسوا مثل هذه البحوث ، لا بد أن ينظر نظرة الاجلال والاكبار ، الى أديب من ادباء العرب ، في السبعين من عمره المثمر المديد ، يجاهد وسط مسؤوليات جسام ، ومتاعب صحية ، لكي يخرج لبني قومه معجما يحتوي على ألف ومئة وست وثمانين مادة ، يبين ما فيها من وجوه الخطأ والصواب ، ويحتاج في سبيل ذلك الى أن ينقب في ستة وستين مصدرا لغويا ، فضلا عن استعانته بحصيلة ذاتية لغوية وادبية، استخلصت من آلاف المصادر ، عبر مسيرة العمر ، بما احتوته من طويل الاعوام والايام .

عمان ـ كلية الاداب — محمود ابراهيم

•

ذكريات

على دروب الهزيمة والكفاح

تاليف المحامي رياض المالكي ـ ٣٢٦ صفحة ـ مطبعة الثبات في دمشق

يعرف القاريء المتتبع ان الكتب الفكرية والادبية التي تخرجها المطابع العربية للناشئين والمبتدئين في التعبير شعرا ونثرا او المترجمة من لغاتها الى لغتنا في موضوعات متشابهة او متكررة تفوق عددا كتب السيرة والذكريات وغيرها من فنون الكتابة الناضجة فيما ينبثق من المواهب المثقفة بتجاريب الوعي والحياة .

فاذا ظهر كتاب قيم في موضوعه ومرماه لكاتب موثوق بقلمه وادبه تهللت الوجوه بعد انقباض وعاد اليها الامل بعودة النتاج الرصين ، وكانت « ذكريات على دروب الهزيمة والكفاح » للاديب المحامي الاستاذ رياض المالكي مفاجأة موعودة للقاريء العربي الذي يتفقد الكتب الممتعة النافعة في زحمة الاكداس المتراكمة ، وطالما تساءلت محتوياتها عمن يقرؤها ويفتح صفحاتها فلا تلقى الجواب ...

ومن دأب الذكريات ان يؤجل كاتبها نشرها حتى يتقدم في سنه ومراسه لكن الاستاذ المالكي اديب الشباب العربي الصاعد الذي امتلأت مسيرته المبكرة بتجارب الحياة والمحاماة شاء ان يتخفف من هذه الصفحات التي كتبها للذكرى ولعله يتفرغ لغيرها فيحدثنا بما عانى ولقي في دربه الشائك الذي مضى فيه على الحداثة وفي زهوة الشباب مكافحا ظلمات الفكر والسياسة ومظالم البائسين والمستضعفين مقتديا بمن سبقه من أهله ومعلميه في الكفاح للحرية والحقيقة ، وما كانت الحوادث التي صورها وعبر عن ملابساتها في كتابه بشجاعة وايمان الا لاستخلاص العبرة منها في نضال بلاده للاستقلال ، فلما تحررت من الانتداب واستردت حقها في السيادة القومية أخذت تجاهد معوقات البناء والانطلاق .

ففي الصفحة التاسعة من هذا الكتاب بدأ المؤلف المالكي ذكرياته في الحديث عن البيت الذي أنبته واعده ليكون جنديا بعلمه وقلمه ، لوطنه وعروبته المتفتحة على ابقى ما في القومية والحضارة ، كما اعد البيت المالكي اخوته ليكونوا ضباطا في الجيش او زراعا في الارض التي أحبها أبوهم وبادلته وفاء بوفاء ، فلما ادركته الشيخوخة ورأى اولاده يتجهون الوجهة التي اختاروها وكان له اثر في الانصراف اليها باعها ان يحرص عليها ، وقد رد صاحب هذه الذكريات سجايا والده الى الارض التي علمته الامانة والاستقامة كما وسمته الطبيعة بالحزم في اموره وتدبيره .

وكانت عينا الغلام او الفتى في رياض المالكي تتفتح على فروسية ابيه المشهور بخصاله وفي تربية اولاده ، ولقد تمرس المالكي الكبير بالحفاظ على أصالة دمشق وعزتها ، فحمل السلاح وهو في ريق عمره مع ابناء حيه وجيرانه يوم ميسلون وهو يوم تاريخي في حياة دمشق ونضالها للحرية والقومية ، وكان شمسي المالكي جارا للفدائي الاول الذي أبى ان يقتحم العدو ارض بلاده دون مقاومة ، فافتدى وطنه بروحه وكان يوسف العظمة جار المالكي وزيرا للدفاع فافتدى به المقاومون ولا عجب اذا شب الفتى رياض وأخوه الشهيد على الروح الوطنية النضالية ، فكافح كل منهما العدوان والانحراف على طريقته ، وكانت رسالة رياض تحفزه لمواقف مأثورة في قضايا بلاده بعد الاستقلال، وكانت كارثة فلسطين هموما موزعة في أسرته وجهاده .

ولم يكن هذا في ذكرياته على دروب الهزيمة والكفاح تبجحا وزهوا، وما كان هذا من طبعه ، بل كان صورا صادقة في كفاح المحامي الصادق الذي وهب حياته ورسالته للمثل العليا التي تشوف اليها ناشئا وطالبا ثم محاميا كبيرا في موهبته وثقافته ، وطالما حمل فيها التبعات في رحاب العدالة وفي الحياة القضائية والفكرية معبرا عن ارادة المخلصين للحق والوطن في مراحل التطور الذي أخذت به بلاده لبناء حياة فضلى ومستقبل يليق بوعيها وكرامتها .

على ان الاستاذ المالكي وهو يعبر في ذكرياته عن هذه المشاركة في الكفاح رفد كلامه بالوثيقة تلو الوثيقة التي تؤيد الحقيقة التي مشى وراءها في حياته ، وكانه في ذكرياته المعدودة كان يسجل تاريخا لمدة محددة لم يكن فيه راويا لاحداث تتصل بذاته وحده وانما كان معبرا عن أمور جسام تتصل بالجماهير التي تصنع التاريخ ، وما كانت صداقته لها وعلاقته بشؤونها الا تعميقا لحياته معها وجهاده من أجلها.

وقد تكون هذه الذكريات بداية لصفحات بعدها اطول واروع فان في سيرة كاتبها ونضاله من اجل بلاده متسعا لجوانب عديدة لم يتناول الا القليل منها فهو مدعو لكتاب جديد في هذا الموضوع الذي مشى على دربه طويلا وكانت له فيه انطباعات وجولات .

ولعل المحامي الاديب الاستاذ المالكي يعود الى ذكرياته المطوية فيكتب بقلمه الصريح وبيانه المشرق صفحات الحوادث الكبرى قبيل الاستقلال وبعده لتكون مرجعا وثيقا للمؤرخين والباحثين بعد حين .

ومن أجدر منه في زحمة الاكداس من الصحف والمؤلفات باستخلاص الحقائق ودعمها بالوثائق في كتابه المرجو وقد أودعه ما يتفقده القراء والنقاد فيما طالعوا من مذكرات استخف كاتبوها بالمرصاد .

دمشق — وداد سكاكيني

•

نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة

تاليف القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي ـ تحقيق عبود الشالجي المحامي ـ الجزء السادس ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ مطابع دار صادر في بيروت

هذا هو الجزء السادس من كتاب « نشوار المحاضرة » للعالم الفقيه القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي من ابناء القرن الرابع الهجري ، وهو في الاصل احد عشر جزء لم يعثر المنقبون منها الا على ثلاثة اجزاء فقام المحامي عبود الشالجي بجمع ما ورد على لسان

القاضي التنوخي فالف منها حتى الان ثمانية اجزاء في حجوم متقاربة للاجزاء الثلاثة الموجودة وهي عملية جد شاقة يعرفها من مارس غربلة الكتب والروايات والرجوع الى ما نشر منها لئلا يتكرر ورود الرواية .

وهذا الجزء كالاجزاء السابقة عبارة عـن مجموعة مـن النوادر الادبية والصور التاريخية ، والوقائع الغريبة التـي شهدهـا المؤلف بنفسه او رواها له من يثق به دون ان يكون قد عرفها عارف او مؤلف قبل القاضي التنوخي فجاءت هذه الاجزاء تعرض لجوانب كبيرة مـن حياة القضاة والوزراء والشعراء والكتاب في القرنين الثالث والرابـع الهجري ، ولم تكن الميزة مقتصرة على هذا الجمع المضني الذي قام بـه المحقق ، وانما كان له الاثر الكبير في شرح الغامض من اللغة والعادات المألوفة في ذينك القرنين ، ثم القيام بسرد تراجم من جاء ذكرهم فـي هذا الجزء مشيرا الى المصادر التي نقل عنها هذه التراجم .

كذلك لم تقتصر الميزة على هذا اللون من التعليق وانما راح المحقق يتتبع رواية المؤلف ويقف القاريء منها على ما يتخللها من سهو وخطأ والتباس ، فهو مثلا يناقش المؤلف في حاشية الصفحة ١٧٧ فيمـا ورد عن عمر القاضي حبيب العموي الذي قال عنه المؤلف انـه كان صغير السن في ايام المأمون في حين ان القاضي حبيبا كـان قاضيا في ايـام المهدي .

ونظير هذه المناقشة ما جاء في حاشية الصفحة ١٨٩ من التناقض الوارد في « نشوار المحاضرة » في حكاية الحصيرة التي آلت الى الخليفة المعتصم بسبب وفاة مالكها سليمان بن علي ، في حين ان سليمان بـن علي لم يمت الا في زمن الواثق على ما روى الخطيب البغدادي .

ويلتبس الامر على القاضي التنوخي المؤلف فينسب ابـا بكـر الخوارزمي الطبري الى الشام ، فيصحح المحقق هذه النسبة ويذكـر ان ابا بكر خوارزمي من (خوارزم) من حيث الاب ، وطبري من حيث الام لانه ابن اخت محمد بن جرير الطبري .

ويأخذ غير هذا على المؤلف ولا تفوته الاشارة الا للقليل القليل من السهو ، ومن هذا القليل ما ورد في الصفحة ٢٩ مـن اقوال ابـي العتاهية القائل :

حبـك المـال لا كحبـك عبـادة يـا فاضح المحبينـا
لو كنت اخلصتها الوفاء كما قلت لمـا بعتهـا بخمسينـا

ويخيل لي ان اختلاف اقلام النساخ طوال السنين اما ان تكـون قد اسقطت (اللام) الثانية (للمال) الـذي كان يجب ان يكـون : (حبك للمال) ليستقيم مع وزن البيت الثاني ، او زادت كلمة (كنت) في البيت الثاني الذي كان ينبغي ان يكون (فلـو اخلصتها) ليستقيم الوزن فضلا عن ان لي رأيا في القافية نفسها ، والله اعلم على ما يقول اسلافنا لانني اعترف برسوبي في العروض يوم كنت اقرأه .

كذلك فاتته الاشارة الى ما ورد من القول في الصفحة ١٧٢ فقـد جاءت العبارة بهذا النص : « ان لنا على الضبعي ـ بيع كان للمعتضد ولغيره ـ مال » لان العبارة ـ كما يرى القارىء ـ غير مستقيمة من حيث الاعراب ، كأن تكون (بيعا) وتكون (مالا) اذا كان هذا هو المفهوم .

وجاء في الصفحة ٢٤٧ على لسان الحسن بن مالك الغنوي قوله :

قد أضحى خليلي بعد صفو مودتي صريعا بدار الذل اسلمه القـدر

ولا بد ان يكون هناك تحريف من النساخ في كلمة (قـد أضحى) كأن تكون في الاصل (واضحى) او غير ذلك .

وليس هذا بالشيء المهم ازاء الجهود التيقام بها المحقق في تحقيق هذا الجزء والاجزاءالخمسة المتقدمة ، ومـن المؤسف ان تقـع بعض الاغلاط المطبعية في هذا الكتاب الجليل مثل قوله (دعى) في الصفحة (٧٧) و (ما انكرتيه) في الصفحة (٨١) (وانكم تبعثوني) فـي الصفحة (١٧٦) وقوله (اشترك) في الصفحة (١٨٨) وغير ذلك .

وكنا نود ان نقرأ للمحقق تعليقا على ما ورد في بعض الروايات من المبالغات التي جعلت الرواية اشبه بالاسطورة منها بالحقيقة التأريخية، لا سيما في قصة الاشتر وجيداء المنقولة مـن مصارع العشاق والواردة في الصفحة ٢٥٦ .

وبعد فلا احسب قارئا من اهل الادب يقرأ هذا التحقيق من حيث عمقه ، ودقته ، وشموله ، دون ان يتملكه الاعجاب بملكات هذا المحقق، وسعة باعه ، فهو فضلا عن كونه من كبار رجال القانون والمحاماة فانـه شاعر مبدع ، واديب بارع ، وتعتبر مكتبة بيته التي تزيـد على ثلاثين الف كتاب من اهم مكتبات البيوت في بغداد ، واليها والى ملكاته يرجع هذا الفضل الشامل في ترجمة المئات ممـن وردت اسماؤهم في هـذه الاجزاء والمئات من الشروح للمصطلحات والعادات بحيث قلمـا يتيسر القيام بها لمؤلف واحد ان لم يكن ذلك من شبه المستحيل .

وبهذا الجزء من نشوار المحاضرة والاجزاء التـي سبقته يكـون الاستاذ عبود الشالجي قد أسدى الى التأريخ العربي ، والادب الحي، وقراء العربية افضالا جساما ليس بامكان احد ان يجحدها او ينساها.

بغـداد — جعفر الخليلي

•

مكـــارم الاخـــلاق

تاليف ابن ابي الدنيا ـ ١٧٤ صفحة عربية ـ ١١٠ صفحة مترجمة الى الانكليزية ـ تحقيق وشرح المستشرق جيمز ا. بلمي ـ مـن النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية الغربية ـ نشرته دار فرانز شتاينر

بفيسبادن ، بمساعدة المعهد الالماني للابحاث الشرقية في بيروت – المطبعة الكاثوليكية ببيروت

هذا كتاب لامام من أئمة القرن الثالث الهجري في تاريخ الادب العربي ، والاسانيد التي تجمع بين الاحاديث والاخبار . هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، ابن ابي الدنيا القرشي الاموي ، مولاهم ، البغدادي ، ابو بكر (٢٠٨ – ٢٨١ هـ ، ٨٢٣ – ٨٩٤ م) الحافظ للحديث ، والمكثر من التصنيف الذي لا يزال اكثره مخطوطا كما ذكر الذهبي محمد بن أحمد (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ ، ١٢٧٤ – ١٣٤٨ م) فبلغت ١٦٤ كتابا .

وهو الامام الذي أدب الخليفة المعتضد بالله ابو العباس (٢٤٢ – ٢٨٩ هـ ، ٨٥٧ – ٩٠٢ م) الذي قال عنه بعض المؤرخين : جـدد الدولة بابي العباس . ثم كان المؤدب لابنه المكتفي بالله ابو محمد (٢٦٣ – ٢٩٥ هـ ، ٨٧٦ – ٩٠٨ م) الذي حارب القرامطة بضراوة لتامين الحجيج والذي افتتحت جيوشه انطاكية من ايدي الروم .

كما كان ابن ابي الدنيا من اشهر الوعاظ العارفين باساليب الكلام ، وملا يلائم طبائع الناس ، حتى قيل عنه : « ان شاء اضحك جليسه ، وان شاء ابكاه » .

وتبدو اهمية كتاب « مكارم الاخلاق » انه من بين التصانيف التي تتالف من الاحاديث والاخبار منها :

وحدثني ابو جعفر مولى بني هاشم حدثني ابو بكر المديني قال : قال سعيد بن العاص : يا بني ، ان المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقكم اليها اللئام ، ولكنها كريهة مرة لا يصبر عليها الا من عرف فضلها ورجا ثوابها . وانشد بعضهم :

ليس دنيا الا بدين وليس ... الدين الا مكارم الاخلاق

وحدثنا احمد بن ابراهيم نابجي بن المثنى الحلبي ، قال سمعت سفيان بن عيينة قال : عمل رجل من اهل الكوفة بخلق دني فاعتق جار له جارية شكرا لله اذ عافاه من ذلك الخلق . انشدني ابو جعفر القرشي :

كل الامور تزول عنك وتنقضي ... الا الثناء فانه لك باق
ولو انني خيرت كل فضيلة ... ما اخترت غير محاسن الاخلاق

وانشدني الحسين بن عبد الرحمن :

أحب مكارم الاخلاق جهدي ... واكره ان أعيب وأن أعابا
واعرض عن سباب الناس قولي ... وشر الناس من يحب السبابا

حدثني بعض اهل العلم عن خلف بن خليفة نا الحجاج بن دينار عن محمد بن ذكوان عن عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة ، ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما الايمان ؟ قال : الصبر والسماحة وخلق حسن . يعني بالصبر عن محارم الله ، والسماحة اداء ما افترض الله عليه ، وخلق حسن بمكارم الاخلاق والاعمال .

هذا بعض ما جاء في فصل (الاحاديث المختلفة) وعدد فصول الكتاب عشرة ما عدا المقدمة القيمة ، والفهارس الثلاثة ، للاعلام ، والآيات القرآنية ، والقوافي .

ولقد اورد ابن ابي الدنيا في فصل (صدق البأس) القصة الطريفة التالية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : حدثنا احمد قال حدثني محمد بن عباد بن موسى العكلي نا كثير بن هشام نا عيسى عن معروف قال : قال سعيد بن المسيب : لما كان يوم الاحزاب قطع عليهم عمرو بن عبد ود الخندق فقيل له : انصرف . قال : لا انصرف حتى اقتل محمدا فخرج اليه علي رضي الله عنه فقال : يا عمرو اني سمعتك تقول عند الكعبة : لا ينصفني احد الا قتلت . واني ادعوك الى ان تشهد ان لا آله الا الله وان محمدا رسول الله ، فابى عليه . قال: فاني ادعوك ان تنزل فتبارزني . قال : انصفت . قال : وقد قال عمرو قبل ذلك :

ولقد بححت من الندا ... ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت اذ جبن الشجا ... ع لموقف البطل المناجز
وكذاك اني لم ازل ... متسرعا نحو الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فاجابه علي رضي الله عنه :

لا تعجلن فقد أتا ... ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة ... والصدق منجي كل فائز
اني لارجو ان اقيـ ... م عليك نائحة الجنائز
من ضربة فوهاء يبـ ... قى اثرها عند الهزاهز
ولقد دعوت الى البرا ... ز فما تجيب الى المبارز

فنزل فعقر فرسه وركز عنزته وكان أعرج ومشى اليه علي رضي الله عنه وهاجت عجاجة فحالت بينهما وبين الناس ، ورفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه يدعو فانفرجت وعلي يمسح سيفه بثيابه ورجع يقول :

أعلي تقتحم الفوارس هكذا ... عني وعنهم أخروا ، اصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بنابي
أدى عمير حين اخلص صنعه ... صافي الحديدة يستنفي ثوابي
فغدوت التمس القراع بمرهف ... عضب مع البتراء في الاقراب
آلى ابن عبد حين شد أليه ... وحلفت فاستمعوا من الكذاب
ألا يصد ولا يهلل فالتقى ... فتيان يضطربان كل ضراب
فصددت حين تركته متجدلا ... فالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو انني ... كنت المقطر بزني اثوابي

وزادني عبد الرحمن بن صالح عن يونس بن بكير :

عبد الحجارة من سفاهة رأيه ... وعبدت رب محمد بصواب

وحدثنا عبد الرحمن بن صالح نا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال : لما قتل علي رضي الله عنه عمرا أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل فقال له عمر رضي الله عنه : هلا سلبت درعه فانه ليس للعرب درع مثله ؟ قال : ضربته فاتقاني بسوءته فاستحييت يا ابن عمي ان اسلبه .

ولقد وفق المستشرق بلمي في اختياره تحقيق وشرح كتاب « مكارم الاخلاق » ، وابرز عن مقدرة فائقة في تحليله وتعريفه لنقد نصوص المخطوطات ، وما تستوجبه من سلوك ، وتمييز ، وصيانة ، حيث يقول : واستقلال المخطوطات مبدأ مهم في تحقيق النصوص القديمة ، لاننا اذا ايقنا باستقلالها علمنا ان كل كلمة او عبارة – صحيحة كانت او خطأ – اتفق عليها مخطوطان ترجع بلا شك الى الاصل الذي انحدرت منه الاثنتان ، وانها لم تتخذ شكلها هذا في مرحلة متأخرة للرواية . وان كان عندنا ثلاث مخطوطات مستقلة ، اتفقت اثنتان منها على عبارة واختلفت الثالثة فيها عنهما ، تأكدنا ان ما اتفقت عليه المخطوطتان يرجع الى الاصل الذي انحدرت منه المخطوطات الثلاث وان العبارة في المخطوطة الثالثة غلطة متأخرة وذلك لان ناسخين اثنين قلما يعملان نفس الغلط ، ولا يتم ذلك كله بالطبع الا بعد تطبيق مبدأ استقلال المخطوطات .

ولا اجد ما اختم كلمتي خيرا من تهنئة المستشرق بلمي المدرس في مركز الابحاث الشرقية في جامعة متشيغن ، وهو المعروف من قبل بكتابته عن جامعة القاهرة يوم اقام فيها ، وعنايته بكتاب الرموز لابن ابي السرح ، كما اجزي التهنئة للدكتور فيلد مدير المعهد الالماني في بيروت، ولجمعية المستشرقين الالمانية التي تقوم مع جامعة « توبنجن » باكبر مهمة علمية في منطقة الشرق الادنى ، والتي قدمت خلال السنين الماضية للمكتبة العربية من الآثار النفيسة ، ما يجعلنا نشعر بقيمة المهمة التي تضطلع بها ، والتي تهدف الى نشر وبعث الانتاج الجيد لائمة علمائنا وتراثنا الفريد النافع الصحيح .

طرابلس – لبنان

محمد اديب غالب



● ايام الحب والموت ـ رواية ـ تاليف رشاد محمود ابو شاور ـ ٩٤ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فنجان قهوة لزائر الصباح ـ مجموعة قصص ـ تاليف غازي العبادي ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● افتتاحية للضحك ـ تاليف عاليه ممدوح ـ ٩٤ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ مطبعة المتني ببيروت .

● الشخصية والصراع المأساوي ، دراسة نفسية في طلائـــع المسرح الشعري العربي : احمد شوقي ، عزيز اباظة ، عدنان مردم بـــك ـ تاليف عدنان بن ذريل ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الف بـاء/ الاديب بدمشق .

● الاعلام والمعركة ـ تاليف رياض طه ـ تقديم الرئيس شارل حلو ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لـم يذكر اسم المطبـعـة) .

● لا ترقبي عودتي ـ مجموعة قصص ـ تاليف رستم كيلاني ـ الرسوم للفنانة فاطمة عبد المقصود يوسف ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الفكر العربي ـ مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة .

● موسوعة قواعد اللغة الانكليزية ـ تاليف مهدي بديرة ـ الكتـــاب الثالث ـ ٢٨٢ صفحة ـ مطبعة خالد الطرابيشي بدمشق .

● اغنيات على شفاه الليل ـ مجموعة شعرية ـ عبد الخالق فريد ـ الغلاف والرسوم لمحمد قطب ـ ٨٠ صفحـــة ـ دار الزهراء للطباعـة والنشر بالقاهرة .

● مرثية للعمر الجميل ـ مجموعة شعرية ـ احمد عبد المعطي حجازي ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت (لم يذكر اسم المطبعة).

● اوراس ـ مجموعة شعرية ـ احمد عبد المعطي حجازي ـ ٧٢ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ارفع يدي احتجاجا ـ مجموعة شعرية ـ فوزي كريم ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فن الحب ـ تاليف اريك فروم ـ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ مطبعة المتني ببيروت .

● اقوال شاهد اثبات ـ مجموعة شعرية ـ محمد الفيتوري ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في زمن القهر والغضب ـ مجموعة شعرية ـ حبيب صادق ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ مطابع المتني ببيروت .

● ... وبقيت الذكريات ـ تاليف رياض حنين ـ لوحة الغلاف لصليبا الدويهي ـ ١٢٠ صفحة ـ مطبعة حايك وكمال ببيروت .

● تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت ـ تاليف الشيخ طـه الولي ـ تقديم الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٣١٦ صفحة ـ حجـم كبير ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● من اسرار المنهج الرباني ـ تاليف الدكتور محمـــد سعيد رمضان البوطي ـ ١٠٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الفارابـي بدمشق ـ مطبعة دار الوفاء بدمشق .

● ديوان العريض ـ ابراهيم العريض ـ تقديم حسن الجشي ـ ٦٧٨ صفحة ـ مجلد ـ منشورات الشركـــة العربيـــة للوكالات والتوزيع بالبحرين ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نداء الشوق ـ قصص وصور ـ تاليف وحيد الدين بهاء الدين ـ تقديم الدكتور صفاء خلوصي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات اتحاد الادباء التركمان ببغداد ـ مطبعة التضامن ببغداد .

● معجم الاخطاء الشائعة ـ تاليف محمد العدناني ـ ٣٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلـد ـ منشورات مكتبـة لبنان ببيروت ـ دار القلـم للطباعة (بيروت) .

● الفجر الجديد ـ شعر ـ محمـــد ياسر شرف ـ ١٥٤ صفحـة ـ مطبعة الاندلس بحمص .

● همسات ـ شعر ـ محمد ياسر شرف ـ لوحـــة الغلاف للشاعر ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات محمد ياسر شرف بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاحتراق باتجاه الاخر ـ شعر ـ محمد ياسر شرف ـ لوحة الغلاف الشاعر ـ ١٢٦ صفحة ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● بائعو الاقذار والزجاج الملون ـ شعر محمـــد ياسر شرف ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● اول الينبوع ـ شعر ـ وليد حجار ـ لوحة الغلاف لعبد اللطيف صمودي ـ ١٠٤ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في سورية)

● جلجامش في العالم السفلي ـ مسرحية شعرية ـ تاليف يوسف امين قصير ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● مصرع السمنة ـ شعر ـ تاليف عبد الله قبرصي المحامي ـ طبعـة ثانية ـ الاخراج والرسوم بريشة رأفت ـ ١١٠ صفحة ـ مطابع الدار الشعبية للطباعة والنشر ببيروت .

● خطوات في الرمل ـ ادب سياسي وشعـــر منثور ـ تاليف عادل الاعور ـ لوحة الغلاف لابراهيم عيد ـ ٧٤ صفحة ـ مطابع الديار ببيروت

● لاروس ، المعجم العربي الحديث ـ تاليف الدكتور خليل الجـــر الاستاذ في الجامعة اللبنانية ـ اسهم في تحرير القسم اللغوي منـه : محمد خليل الباشا وهاني ابو مصلح ـ اعاد النظر فيه محمد الشايب ـ ١٣٢٠ صفحة ـ منشورات مكتبة لاروس في باريس ـ انجزت المطبعـــة البولسية في جونيه لبنان تنضيد المعجم وتصوير افلامه ـ وطبع على مطابع لاروس في فرنسا .

● سجل التوبة ـ اربع قصص ومسرحية ـ تاليف امين الريحاني ـ طبعة ثالثة ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات مؤسسة دار الريحاني (بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قصيدة حب ـ شعر ـ هدى النعماني ـ الرسوم لبسام النعماني ـ ٩٢ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لـــم يذكر اسم المطبعـــة) .

● اوتار القلوب ـ مجموعة شعرية ـ نبيه سلامة ـ تقديم محي الدين الدرويش ـ ٣٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة جريدة برازيل/لبنـــان في سان باولو بالبرازيل .

● من عبد الحميد الكاتب الى الكتاب والموظفين ـ تاليف عبد العزيز الرفاعي ـ الغلاف محمد كليب الحارثي ـ ٩٦ صفحة ـ الكتاب ٩ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة بالرياض .

● الديوان الجديد : بناية من شعر العروبة والوجدان ـ الشاعـــر المهجري جورج الكعدي ـ تقديم الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لـــم يذكـــر اسم المطبـعـة) .

● عواطف وعواصف : قصص ذرية ـ تاليف محمد طاهـر فلمبان ـ ٧٠ صفحة ـ (صدر في مكة المكرمة) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .